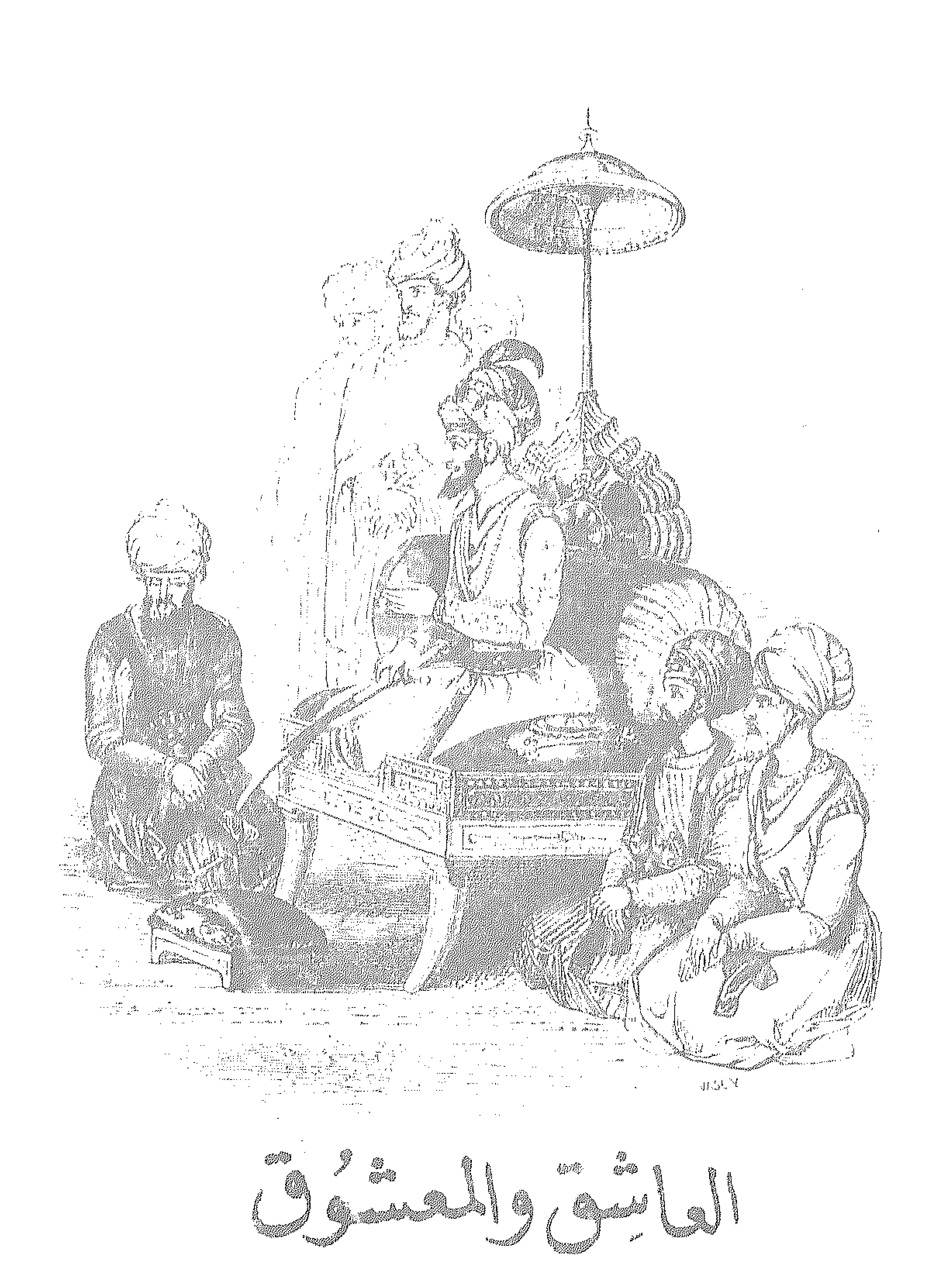
ألف ليلة وليلة



العاشق والمعشوق

ألف ليلة وليلة

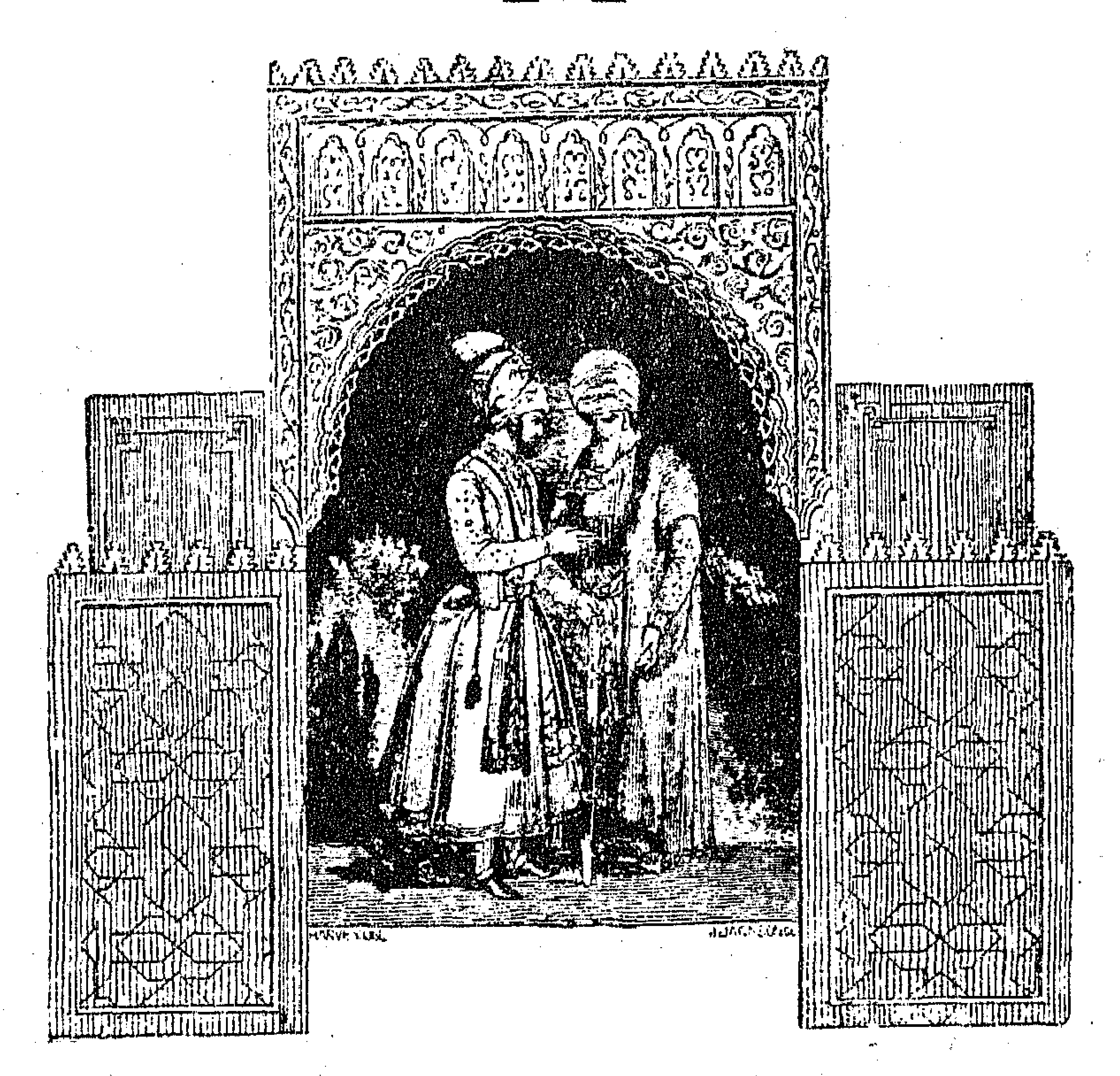
٨

العاشق والمعشوق

راجعها

سعيد جوده السحار   عبد الستار فراج

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة



حكاية العاشق والمعشوق[١]

اعلم أيها الملك السعيد، أنه كان فى سالف الزمان، مدينة وراء جبال أصفهان، يقال لها المدينة الخضراء؛ وكان بها ملك يقال له الملك سليمان،

---

(١) هذه القصة كانت مقحمة فى قصة « عمر النعمان » فزادتها طولا وقد فصلناها عنها بلياليها التى تخصها لتكون قصة « عمر النعمان » التى ستقع فى أكثر من ٢٠٠ صفحة قائمة بذاتها .

وكان صاحب جود وإحسان ، وعدل وأمان ، وفضل وامتنان ، وسارت إليه الركبان من كل مكان ، وشاع ذكره في سائر الأقطار والبلدان ؛ وأقام في المملكة مدة مديدة من الزمان ، وهو في عز وأمان . إلا أنه كان خاليا من الأولاد والزوجات ، وكان له وزير يقاربه في الصفات ، من الجود والهبات .

فاتفق أنه أرسل إلى وزيره يوما من الأيام ، وأحضره بين يديه ، وقال له : يا وزيري ، إنه ضاق صدري ، وعِيل صبري ، وضعف مني الجَلَد ، لكوني بلا زوجة ولا ولد . وما هذا سبيل الملوك ، الحكام على كل أمير وصعلوك ؛ فإنهم يفرحون بخلفة الأولاد ، وتتضاعف لهم بهم الأعداد ؛ وقد قال النبي ﷺ : (تناكحوا تناسلوا تكثروا ، فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة) . فما عندك من الرأي أيها الوزير ؟ فأشر علي بما فيه النصح والتدبير .

فلما سمع الوزير هذا الكلام ، فاضت الدموع من عينيه بالانسجام ، وقال : هيهات يا ملك الزمان ، أن أتكلم فيما هو من خصائص الرحمن . أتريد أن أدخل النار ، بسخط الملك الجبار ؟

فقال له الملك : اعلم أيها الوزير أن الملك إذا اشترى جارية لا يعلم حسبها ، ولا يعرف نسبها ، فهو لا يدري خساسة أصلها يجتنبها ، ولا شرف عنصرها حتى يتسرَّى بها . فإذا أفضى إليها ربما حملت منه ، فيجيء الولد منافقا ، ظالما ، سفاكا للدماء ؛ ويكون مثلها مثل الأرض السَّبِخَة ، إذا زرع فيها زرع فإنه يخبث نباته ، ولا يحسن ثباته . وقد يكون ذلك الولد متعرضا لسخط مولاه ، ولا يفعل ما أمره به ، ولا يجتنب ما عنه نهاه . فأنا لا أتسبب في هذا بشراء جارية أبدا ، وإنما مرادي أن تخطب لي بنتا من بنات ملوك ، يكون نسبها معروفا ، وجمالها موصوفا ؛ فإن دللتني على ذات

النسب والدين، من بنات ملوك المسلمين، فإنى أخطبها وأتزوج بها على رءوس الأشهاد، ليحصل لى بذلك رضا رب العباد.

فقال له الوزير: إن الله قضى حاجتك، وبلغك أمنيتك.

فقال له: وكيف ذلك؟

فقال له: اعلم أيها الملك أنه بلغنى أن الملك زهر شاه، صاحب الأرض البيضاء، له بنت بارعة الجمال، يعجز عن وصفها القليل والقال، ولم يوجد لها فى الزمان مثال، لأنها فى غاية الكمال، قويمة الاعتدال، ذات طرف كحيل، وشعر طويل، وخصر نحيل، وردف ثقيل؛ إن أقبلت فتنت، وإن أدبرت قتلت؛ تأخذ القلب والناظر، كما قال الشاعر:

هيفاء يُخجل غصنَ البان قامتها
لم يَحْكِ طلعتَها شمس ولا قمر
كأنما ريقها شهد وقد مُزجت
به المدامة لكن ثغرها دررُ
ممشوقة القدِّ من حور الجنان لها
وجه جميل وفى ألحاظها حَوَرُ
وكم لها من قتيل مات من كمد
وفى طريق هواها الخوف والخطر
إن عشت فهى المنى ما شئت أذكرها
أو مت من دونها لم يُجْدِنِى العُمُرُ

فلما فرغ الوزير من وصف تلك الجارية، قال للملك سليمان شاه: الرأى عندى أيها الملك أن ترسل إلى أبيها رسولا، فطنا خبيرا بالأمور، مجربا لتصريف الدهور، ليتلطف فى خطبتها لك من أبيها، فإنها لا نظير لها فى قاصى الأرض ودانيها، وتحظى منها بالوجه الجميل، ويرضى عليك الرب

الجليل ؛ فقد ورد عن النبى ﷺ أنه قال : (لا رهبانية فى الإسلام) .

فعند ذلك توجه إلى الملك كمال الفرح ، واتسع صدره وانشرح ، وزال عنه الهم والغم ، ثم أقبل على الوزير وقال : اعلم أيها الوزير أنه لا يتوجه لهذا الأمر إلا أنت ، لكمال عقلك وأدبك ، فقم إلى منزلك ، واقض أشغالك ، وتجهز فى غد ، واخطب لى هذه البنت التى شغلت بها خاطرى ، ولا تعد لى إلا بها .

فقال : سمعا وطاعة .

ثم إن الوزير توجه إلى منزله ، واستدعى الهدايا التى تصلح للملوك : من ثمين الجواهر ، ونفيس الذخائر ، وغير ذلك مما هو خفيف فى الحمل ، وثقيل فى الثمن ؛ ومن الخيل العربية ، والدروع الداوودية ، وصناديق المال ، التى يعجز عن وصفها المقال ؛ ثم حملوها على البغال والجمال ، وتوجه الوزير ومعه مائة مملوك ومائة جارية ، وانتشرت على رأسه الرايات والأعلام ، وأوصاه الملك أن يأتى إليه فى مدة قليلة من الأيام . وبعد توجهه صار الملك سليمان شاه على مقالى النار ، مشغولا بها فى الليل والنهار .

وسار الوزير ليلا ونهارا ، يطوى برارا وقفارا ، حتى بقى بينه وبين المدينة التى هو متوجه إليها يوم واحد . ثم نزل على شاطئ نهر ، وأحضر أحد خواصه ، وأمره أن يتوجه إلى الملك زهرشاه بسرعة ، ويخبره بقدومه عليه .

فقال : سمعا وطاعة .

ثم توجه بسرعة إلى تلك المدينة ، فلما قدم عليها ، وافق قدومه أن الملك زهرشاه كان جالسا فى بعض المتنزهات قدام باب المدينة ، فرآه وهو داخل ، وعرف أنه غريب ، فأمر بإحضاره بين يديه . فلما حضر الرسول ، أخبره بقدوم وزير الملك الأعظم سليمان شاه ، صاحب الأرض الخضراء

وجبال أصفهان ؛ ففرح الملك زهرشاه ، ورحب بالرسول ، وأخذه وتوجه إلى قصره ، وقال له : أين فارقت الوزير ؟

فقال : فارقته على شاطئ النهر الفلانى ، وفى غد يكون واصلا إليك ، وقادما عليك ، أدام الله نعمته عليك ، ورحم والديك .

فأمر زهرشاه بعض وزرائه ، أن يأخذ معظم خواصه وحجابه ونوابه وأرباب دولته ، ويخرج بهم إلى مقابلته ، تعظيما للملك سليمان شاه ، لأن حكمه نافذ فى الأرض .

هذا ما كان من أمر الملك زهرشاه .

وأما ما كان من أمر الوزير ، فإنه استقر فى مكانه إلى نصف الليل ، ثم رحل متوجها إلى المدينة . فلما لاح الصباح ، وأشرقت الشمس على الروابى والبطاح ، لم يشعر إلا ووزير الملك زهرشاه وحجابه ، وأرباب دولته وخواص مملكته ، قدموا عليه ، واجتمعوا به ، على فراسخ من المدينة . فأيقن الوزير بقضاء حاجته ، وسلم على الذين قابلوه . ولم يزالوا سائرين قدامه ، حتى وصلوا إلى قصر الملك ، ودخلوا بين يديه فى باب القصر إلى سابع دهليز ، وهو المكان الذى لا يدخله الراكب ، لأنه قريب من الملك . فترجل الوزير ، وسعى على قدميه ، حتى وصل إلى إيوان عال ، وفى صدر ذلك الإيوان سرير من المرمر ، مرصع بالدر والجوهر ، وله أربع قوائم من أنياب الفيل ؛ وعلى ذلك السرير مرتبة من الأطلس الأخضر ، مطرزة بالذهب الأحمر ، ومن فوقها سرادق مرصع بالدر والجوهر ، والملك زهرشاه جالس على ذلك السرير ، وأرباب دولته واقفون فى خدمته .

فلما دخل الوزير عليه ، وصار بين يديه ، ثبت جنانه ، وأطلق لسانه ، وأبدى فصاحة الوزراء ، وتكلم بكلام البلغاء .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٠٨

(فلما كانت الليلة الثامنة بعد المائة) قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن وزير الملك سليمان شاه ، لما دخل على الملك زهر شاه ، ثبت جنانه ، وأطلق لسانه ، وأبدى فصاحة الوزراء ، وتكلم بكلام البلغاء ، رأشار إلى الملك بلطف التفات ، وأنشد هذه الأبيات :

وافى وأقبل فى الغلائل ينثنى
يُولِى النَّدى للمجتبى والمجتنى

ورَقَى فما تُغْنى التمائم والرقى
والسحر من لحظات تلك الأعين

قل للعواذل لا تلوموا، إننى
طولَ المدى عن حبِّه لا أنثنى

حتى فؤادى خاننى ووفَى له
وكذا الرقاد صبَا إليه وملَّنى

يا قلبِ ما أمسيت وحدك رأفة
فامكث لديه وإن تكن أوحشتنى

لا شىء يَطْرب مسمعى بسماعه
إلا الثناء لزهر شاه أجتنى

ملك إذا أنفقت عمرك كله
فى نظرة من وجهه أنت الغنى

وإذا انتخبت له دعاء صالحا
لم تلق غير مشارك ومؤمِّن



فلما بلغ الوزير من هذا النظام، قربه الملك زهرشاه وأكرمه غاية الإكرام، وأجلسه بجانبه، وتبسم فى وجهه، وشرفه بلطيف الكلام. ولم يزالا على ذلك إلى وقت الصباح، ثم قدموا السماط فى ذلك الإيوان، فأكلوا جميعا حتى اكتفوا؛ ثم رفع السماط، وخرج كل من فى المجلس، ولم يبق إلا الخواص، فلما رأى الوزير خلو المكان، نهض قائما على قدميه، وأثنى على الملك، وقبل الأرض بين يديه، ثم قال: أيها الملك الكبير،

والسيد الخطير ، إنى سعيت إليك ، وقدمت عليك ، فى أمر لك فيه الصلاح ، والخير والفلاح ؛ وهو أنى قد أتيتك رسولا خاطبا ، وفى بنتك الحسيبة النسيبة راغبا ، من عند الملك سليمان شاه ، صاحب العدل والأمان ، والفضل والإحسان ، ملك الأرض الخضراء وجبال أصفهان ؛ وقد أرسل إليك الهدايا الكثيرة ، والتحف الغزيرة ، وهو فى مصاهرتك راغب ، فهل أنت له كذلك طالب ؟

ثم إنه سكت ينتظر الجواب. فلما سمع الملك زهر شاه ذلك الكلام ، نهض قائما على الأقدام ، ولثم الأرض باحتشام ؛ فتعجب الحاضرون من خضوع الملك للرسول ، واندهشت منهم العقول . ثم إن الملك أثنى على ذى الجلال والإكرام ، وقال وهو فى حالة القيام : أيها الوزير المعظم ، والسيد المكرم ، اسمع ما أقول ؛ إننا للملك سليمان شاه ، من جملة رعاياه ، ونتشرف بنسبه وننافس فيه ، وابنتى جارية من جملة جواريه ؛ وهذا جُل مرادى ، ليكون ذخرى واعتمادى .

ثم إنه أحضر القضاة والشهود ، وشهدوا أن الملك سليمان شاه ، وكَّل وزيره فى الزواج ، وتولى الملك زهر شاه عقد ابنته بابتهاج ؛ ثم إن القضاة أحكموا عقد النكاح ، ودعوا لهما بالفوز والنجاح . فعند ذلك قام الوزير ، وأحضر ما جاء به من الهدايا ، ونفائس التحف والعطايا ، وقدم الجميع للملك زهر شاه . ثم إن الملك أخذ فى تجهيز ابنته وإكرام الوزير ، وعم بولائمه العظيم والحقير ، واستمر فى إقامة الفرح مدة شهرين ، ولم يترك فيها شيئا إلا فعله مما يسر القلب والعين . ولما تم ما تحتاج إليه العروس ، أمر الملك بإخراج الخيام ، فضربت بظاهر المدينة ، وعبئوا القماش فى الصناديق ، وهيئوا الجوارى الروميات ، والوصائف

التركيات ، وأصحب العروسة بنفيس الذخائر ، وثمين الجواهر . ثم صنع لها محفة من الذهب الأحمر ، مرصعة بالدر والجوهر ، وأفرد لها عشرة بغال للمسير ، وصارت تلك المحفة كأنها مقصورة من المقاصير ، وصاحبتها كأنها حورية من الحور الحسان ، وخدرها كقصر من قصور الجنان . ثم حزموا الذخائر والأموال ، وحملوها على البغال والجمال ، وتوجه الملك زهر شاه معهم ثلاثة فراسخ ، ثم ودع ابنته ، وودع الوزير ومن معه ، ورجع إلى الأوطان ، فى فرح وأمان . وتوجه الوزير بابنة الملك ، وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار ...

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٠٩

(**فلما كانت الليلة التاسعة بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الوزير توجه بابنة الملك ، وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار ، ويجد السير فى الليل والنهار ، حتى بقى بينه وبين بلاده ثلاثة أيام . ثم أرسل إلى الملك سليمان شاه من يخبره بقدوم العروسة ؛ فأسرع الرسول بالسير حتى وصل إلى الملك ، وأخبره بقدوم العروسة . ففرح الملك سليمان شاه ، وخلع على الرسول ، وأمر عساكره أن يخرجوا فى موكب عظيم ، إلى ملاقاة العروسة ومن معها بالتكريم ، وأن يكونوا فى أحسن البهجات ، وأن ينشروا على رءوسهم الرايات ؛ فامتثلوا لأمره ، ونادى منادٍ أنه لا تبقى بنت ، ولا حرة موقرة ، ولا عجوز مكسرة ، إلا وتخرج إلى لقاء العروسة .

فخرجوا جميعا إلى لقائها ، وسعى كبراؤهم فى خدمتها ، واتفقوا على

أن يتوجهوا بها فى الليل إلى قصر الملك . واتفق أرباب الدولة على أن يزينوا الطريق ، وأن يقفوا حتى تمر بهم العروسة ، والخدم قدامها ، والجوارى بين يديها ، وعليها الخلعة التى أعطاها لها أبوها . فلما أقبلت ، أحاط بها العسكر ذات اليمين وذات الشمال ؛ ولم تزل المحفة سائرة بها ، إلى أن قربت من القصر ، ولم يبق أحد إلا وقد خرج ليتفرج عليها . وصارت الطبول ضاربة ، والرماح لاعبة ، والبوقات صائحة ، وروائح الطيب فائحة ، والرايات خافقة ، والخيل متسابقة ، حتى وصلوا إلى باب القصر ، وتقدمت الغلمان بالمحفة إلى باب السر ؛ فأضاء المكان ببهجتها ، وأشرقت جهاته بحلى زينتها . فلما أقبل الليل ، فتح الخدم أبواب السرادق ، ووقفوا وهم محيطون بالباب . ثم جاءت العروسة ، وهى بين الجوارى كالقمر بين النجوم ، أو الدرة الفريدة بين اللؤلؤ المنظوم . ثم دخلت المقصورة ، وقد نصبوا لها سريرا من المرمر ، مرصعا بالدر والجوهر ، فجلست عليه . ودخل عليها الملك ، وأوقع الله محبتها فى قلبه وزال ما عنده من القلق والسهر ؛ وأقام عندها نحو شهر ، فعلقت منه فى أول ليلة . وبعد تمام الشهر ، خرج وجلس على سرير مملكته ، وعدل فى رعيته ، إلى أن وفت أشهرها .

وفى آخر ليلة من الشهر التاسع جاءها المخاض عند السحر ، فجلست على كرسى الطلق ، وهون عليها الولادة ، فوضعت غلاما ذكرا ، تلوح عليه علامات السعادة . فلما سمع الملك بالولد ، فرح فرحا جليلا ، وأعطى المبشر مالا جزيلا . ومن فرحته توجه إلى الغلام وقبله بين عينيه ، وتعجب من جماله الباهر ، وتحقق فيه قول الشاعر :

الله خوّل منه آجام العلا
أسدا وآفاق الرياسة كوكبا

هشَّت لمطلعه الأسنة والأسر
ة والمحافل والجحافل والظُّبى
لا تُركبوه على النهود فإنه
ليرى ظهور الخيل أوطأ مركبا
ولْتفطموه عن الرَّضاع فإنه
ليرى دم الأعداء أحلى مشربا

ثم إن الدايات أخذن ذلك المولود ، وقطعن سرته ، وكحلن مقلته ، ثم سموه « تاج الملوك خاران » . وارتضع ثدى الدلال ، وتربى فى حجر الإقبال ، ولا زالت الأيام تجرى ، والأعوام تمضى ، حتى صار له سبع سنين . فعند ذلك أحضر الملك سليمان شاه العلماء والحكماء ، وأمرهم أن يعلموا ولده الخط والحكمة والأدب ؛ فمكثوا على ذلك مدة سنتين حتى تعلم ما يحتاج إليه الأمر . فلما عرف جميع ما طلبه الملك ، أحضره من عند الفقهاء والمعلمين ، وأحضر له أستاذا فى الفروسية ، فلم يزل يعلمه حتى صار له من العمر أربع عشرة سنة ، وكان إذا خرج لبعض أشغاله يفتتن به من رآه .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

---

(١) الظبى : جمع ظبة ، وهو حد السيف أو السنان .

(**فلما كانت الليلة العاشرة بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن تاج الملوك خاران ابن الملك سليمان شاه ، لما مهر فى الفروسية ، وفاق أهل زمانه ، صار من فرط جماله ، إذا خرج إلى بعض أشغاله ، يفتن به كل من رآه ، حتى نظموا فيه الأشعار ، وتهتكت فى محبته الأحرار ، لما حوى من الجمال ، كما قال فيه الشاعر :

عانقتـــه فسكـــرت من طيب الشذا
غصنًـا رطيبـا بالـنسيم قد اغتـــذى
سكــــــران ما شرب المدام وإنما
أمسى بخمــر رضابـــه مُتَنَبِّـــذا
أضحــــى الجمـــال بأسْرِه فى أسْرِه
فلأجـل ذاك على القلـوب استحـوذا
والله ما خطــر السلـــو بخاطـــرى
ما دمت فى قيـد الحيـــاة ولا إذا ...
إن عشبت عشت على هواه وإن أمت
وجــدًا به وصبابـــة يا حبّـــذا

فلما صار بتلك الحال ، وبلغ مبلغ الرجال ، زاد به الجمال ؛ ودب عذاره الأخضر ، على شامة خده الأحمر ، وزانهما خال كنقطة عنبر ؛ وصار يسبى العقول والنواظر ، كما قال فيه الشاعر :

---

(١) متنبذا : شاربا نبيذا .

أضحى ليوسف فى الجمال خليفة يخشاه كل العـاشقين إذا بدا
عرِّجْ معى وانظر إليه لكى ترى فى خده علم الخلافـة أسودا

وكما قال الآخر :

ما أبصرت عيناك أحسن منظرا فيما يُرى من سائر الأشيـاء
كالشامة الخضراء فوق الوجنة الـ ـحمراء تحت المقلـة السوداء

وكما قال الآخر :

عجبت لخال يعبد النار دائمـا بخدك لم يُحرق به وهو كافر
وأعجب من ذا أن لحظك مُرْسَل يُصَدَّق فى آياته وهو ساحر
وما اخضرَّ ذاك الخد نبتا وإنما لكثرة ما شُقَّت عليه المرائـر

وكما قال الآخر :

إنى لأعجب من سؤال الناس عن ماء الحياة بأى أرض يَنْهَمِـر
ولقد أراه بثغر ظبى أغيـد حُلو اللَّمَى وعليه شاربه الخَضِر
ومن العجائب أن موسى يلتقى معه هنالك سائلا لم يصطبر

ثم صار لتاج الملوك خاران أصحاب وأحباب ، وكل من تقرب إليه يرجو له أن يصير سلطانا بعد موت أبيه ، وأن يكون عنده أميرا . ثم إنه تعلق بالصيد والقنص ، وصار لم يفتر عنه ساعة واحدة ؛ وكان والده الملك سليمان شاه ينهاه عن ذلك ، خوفا عليه من آفات البر والوحوش ، فلم يقبل منه ذلك . فاتفق أنه قال لخدامه : خذوا معكم عَلِيق عشرة أيام .

فامتثلوا لما أمرهم به ، فلما خرج بأتباعه للصيد والقنص ، ساروا فى البر ، ولم يزالوا سائرين أربعة أيام ، حتى أشرفوا على أرض خضراء ؛ فرأوا فيها وحوشا راتعة ، وأشجارا يانعة ، وعيونا نابعة . فقال تاج الملوك لأتباعه : انصبوا الحبائل هنا ، ووسعوا دائرة حلقتها ، ويكون اجتماعنا عند رأس الحلقة فى المكان الفلانى .

فامتثلوا لأمره ، ونصبوا الحبائل ووسعوا دائرة حلقتها ، فاجتمع فيها شيء كثير من أصناف الوحوش والغزلان ، إلى أن ضجت منهم الوحوش ، وتنافرت فى وجوه الخيل ؛ فأغرى عليها الكلاب والفهود والصقور . ثم ضربوا الوحوش بالنُّشَّاب ، فأصابوا مقاتل الوحوش . وما وصلوا إلى آخر الحلقة إلا وقد أخذوا من الوحوش شيئا كثيرا ، وهرب الباقى . وبعد ذلك نزل تاج الملوك على الماء ، وأحضر الصيد وقسمه ، وأفرد لأبيه سليمان شاه الوحوش النادرة ، وأرسلها إليه ، وفرق بعضها على أرباب دولته ؛ وبات تلك الليلة فى ذلك المكان .

فلما أصبح الصباح ، أقبلت عليهم قافلة كبيرة ، مشتملة على عبيد وغلمان وتجار ؛ فنزلت تلك القافلة على الماء والخضرة . فلما رآهم تاج الملوك قال لأحد أصحابه : ائتنى بخبر هؤلاء ، واسألهم لأى شيء نزلوا فى هذا المكان .

فلما توجه إليهم الرسول قال لهم : أخبرونا من أنتم ، وأسرعوا فى رد الجواب .

فقالوا له : نحن تجار ، ونزلنا هنا لأجل الراحة ، لأن المنزل بعيد علينا ، وقد نزلنا فى هذا المكان ، لأننا مطمئنون بالملك سليمان شاه وولده ، ونعلم أن كل من نزل عنده صار فى أمان واطمئنان ؛ ومعنا قماش نفيس ، جئنا به من أجل ولده تاج الملوك .

فرجع الرسول إلى ابن الملك وأعلمه بحقيقة الحال ، وأخبره بما سمعه من التجار .

فقال ابن الملك : إذا كان معهم شيء جاءوا به من أجلى فما أدخل المدينة ، ولا أرحل من هذا المكان ، حتى أستعرضه .

ثم ركب جواده ، وسار وسارت مماليكه خلفه ، إلى أن أشرف على القافلة ؛ فقام له التجار ، ودعوا له بالنصر والإقبال ، ودوام العز والإفضال . وضربت له خيمة من الأطلس الأحمر ، مزركشة بالدر والجوهر ، وفرشوا له مقعدا سلطانيا ، فوق بساط من الحرير ، وصدره مزركش بالزمرد ؛ فجلس تاج الملوك ، ووقفت المماليك فى خدمته ، وأرسل إلى التجار ، وأمرهم أن يحضروا بجميع ما معهم . فأقبل عليه التجار ببضائعهم ، وأخذ منها ما يصلح له ، ووفى لهم بالثمن . ثم ركب وأراد أن يسير ، فلاحت منه التفاته إلى القافلة ، فرأى شابا جميلا ، نظيف الثياب ، ظريف المعانى ، بجبين أزهر ، ووجه أقمر ، إلا أن ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار ، من فرقة الأحباب .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١١١

(**فلما كانت الليلة الحادية عشرة بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن تاج الملوك لاحت منه التفاتة إلى القافلة ، فرأى شابا جميلا ، نظيف الثياب ، ظريف المعانى ؛ إلا أن ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار ، من فرقة الأحباب ، وزاد به الانتحاب ، وسالت من جفنيه العبرات ، وهو ينشد هذه الأبيات :

طال الفـــراق ودام الهم والوجـــل

والدمع فى مقلتى يا صاح مُنهمـــل

والقلب ودّعته يوم الفراق وقد
بقيت فردا فلا قلب ولا أمل
يا صاحبى قف معى حتى أودع مَنْ
بنطقها تشتفى الأمراض والعلل

ثم إن الشاب بعد ما فرغ من الشعر ، بكى ساعة وغشى عليه ، وتاج الملوك ناظر إليه ، وهو يتعجب من أمره . فلما أفاق رَنا بفاتك اللحظات ، وأنشد هذه الأبيات :

خذوا حذركم من طرفها فهو ساحر
وليس بناج من رمته المحاجر
فإن العيون السود وهى نواعس
تَقد السيوف البيض وهى بواتر
ولا تخضعوا من رقة فى كلامها
فإن الحُميا[1] للعقول تخامر
منعمة الأطراف لو مَس جِسمها
حرير لأدماه وها أنت ناظر
بعيدة ما بين المخلخل والطُّلى[2]
وأين الشّذا من طيبها وهو عاطر

ثم شهق شهقة فغشى عليه . فلما رآه تاج الملوك على هذه الحال تحير فى أمره ، ومشى إليه . فلما أفاق من غشيته ، ونظر ابن الملك واقفا على رأسه ،

(١) الحميا : الخمر .

(٢) المخلخل : موضع الخلخال . والطلى : الأعناق . ويريد بهذا أنها غير قصيرة .

نهض قائما على قدميه ، وقبل الأرض بين يديه . فقال له تاج الملوك : لأى شيء لم تعرض بضاعتك علينا ؟

فقال : يا مولاى ، إن بضاعتي ليس فيها شيء يصلح لك .

فقال : لا بد أن تعرض علىَّ ما معك ، وتخبرنى بحالك ؛ فإنى أراك باكى العين ، حزين القلب . فإن كنت مظلوما أزلنا ظلامتك ، وإن كنت مدينا قضينا دينك ؛ فإن قلبى قد احترق من أجلك حين رأيتك .

ثم إن تاج الملوك أمر بنصب كرسى ، فنصبوا له كرسيا من العاج والآبنوس ، مشبكا بالذهب والحرير ، وبسطوا له بسطا من الحرير . فجلس تاج الملوك على الكرسى ، وأمر الشاب أن يجلس على البساط ، وقال له ، اعرض علىَّ بضاعتك .

فقال له الشاب : يا مولاى ، لا تذكر لى ذلك ، فإن بضاعتى ليست مناسبة لك .

فقال له تاج الملوك : لا بد من ذلك .

ثم أمر بعض غلمانه بإحضارها ، فأحضروها قهرا عنه ؛ فلما رآها جرت دموعه وبكى ، وأنَّ واشتكى ، وصعد الزفرات ، وأنشد هذه الأبيات :

بما بجفنيك من غنج ومن كَحَل
وما بقدك من لين ومن مَيَل
وما بثغرك من خمر ومن شهد
وما بِعطفك من لطف ومن مَلَل
عندى زيارة طيف منك يا أملى
أحلى من الأمن عند الخائف الوَجِل

ثم إن الشاب فتح بضاعته ، وعرضها على تاج الملوك قطعة قطعة ، وتفصيلة تفصيلة ؛ وخرج من جملتها ثريا من الأطلس ، منسوجا بالذهب ، يساوى ألف دينار . فلما فتح الثوب ، وقعت من وسطه خرقة ، فأخذها الشاب بسرعة ، ووضعها تحت وركه ، وقد ذهل عن العقول ، وأنشد يقول :

متى يشتفى منك الفؤاد المعـــذب
ونجم الثريـــا من وصالك أقـــرب
بعـــاد وهجـــر واشتيـــاق ولوعـــة
ومَطْل وتسويف به العمـــر يذهب
فلا الوصل يحيينى ولا الهجر قاتلى
ولا البعد يدنينى ولا أنت تقـرب
ومـــا منك إنصاف ولا لك رحمة
ولا منك إسعاف ولا عنك مهرب
وفى حبكم ضاقت جميع مذاهبـــى
علـــىَّ فلا أدرى إلى أيـــن أذهب

فتعجب تاج الملوك من إنشاده غاية العجب ، ولم يعلم لذلك من سبب . ولما أخذ الخرقة ووضعها تحت وركه ، قال له تاج الملوك : ما هذه الخرقة ؟

فقال : يا مولاى ، ليس لك بهذه الخرقة حاجة .

فقال له ابن الملك : أرنى إياها .

قال له : يا مولاى ، إنى لم أمتنع عن عرض بضاعتى عليك إلا من أجلها ، فإنى لا أقدر أن تنظر إليها .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح ».

(**فلما كانت الليلة الثانية عشرة بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الشاب قال لتاج الملوك : إنى لا أقدر على أن تنظر إليها .

قال له تاج الملوك : لا بد من رؤيتها .

وألح عليه واغتاظ ، فأخرجها من تحت ركبته وبكى ، وأنَّ واشتكى ، وأكثر من الأنات ، وأنشد هذه الأبيات :

لا تعذليــه فإن العــذل يولِعــه
قد قلت حقا ولكن ليس يسمعــه
أستودع الله فى البطحاء لى قمــرا
بالحى من فلك الأزرار مطلعــه
ودعتيــه وبــودى لو يودعنــى
صفــو الحيــاة وأنّــى لا أودعــه
وكم تشفــع لى يوم الفــراق ضحــى
وأدمعــى مستهلات وأدمعــه
لا أكذب الله ، ثوب العذر منخرق
عنــى بفرقتــه لكــن أرقّعــه
لا يستقــر لجنبى مضجــع وكــذا
لا يستقر له ــ مُذْ بِنت ــ مضجعه
وقــد سعى الدهــر فيمــا بيننــا بيــد
عسراء تمنعنــى حظّــى وتمنعــه

وصبت الهم صرفا عنـــد ما ملأت
كأسا تجرَّع منها ما أجَرِّعــــــــــه

فلما فرغ من شعره ، قال له تاج الملوك : أرى أحوالك غير مستقيمة ، فأخبرنى ما سبب بكائك عند نظرك إلى هذه الخرقة ؟

فلما سمع الشاب ذكر الخرقة ، تنهد وقال : يا مولاى ، إن حديثى عجيب ، وأمرى غريب ، مع هذه الخرقة وصاحبتها ، وصاحبة هذه الصورة والتماثيل .

ثم نشر الخرقة ، وإذا صورة غزال ، مرقومة بالحرير ، مزركشة بالذهب الأحمر ؛ وقبالتها صورة غزال آخر ، وهى مرقومة بالفضة ، وفى رقبته طوق من الذهب الأحمر ، وثلاث قصبات من الزبرجد . فلما نظر تاج الملوك إليه وإلى حسن صنعته قال : سبحان الله الذى علم الإنسان ما لم يعلم .

وتعلق قلب تاج الملوك بحديث هذا الشاب ، فقال له ، احك لى قصتك مع صاحبة هذا الغزال .

فقال الشاب : اعلم يا مولاى ، أن أبى كان من التجار الكبار ، ولم يرزق ولداغيرى . وكانت لى بنت عم ، تربيت معها فى بيت أبى ، لأن أباها قد مات ، وكان قبل موته تعاهد هو وأبى على أن يزوجانى بها . فلما بلغت مبلغ الرجال ، وبلغت هى مبلغ النساء ، لم يحجبوها عنى ، ولم يحجبونى عنها . ثم تحدث والدى مع أمى ، وقال لها : فى هذه السنة نكتب كتاب عزيز على عزيزة . .

واتفق مع أمى على هذا الأمر ، ثم شرع أبى فى تجهيز مؤن الولائم . هذا كله وأنا وبنت عمى ننام معا فى فراش واحد ، ولم ندر كيف الحال ؛ وكانت هى أشعر منى ، وأعرف وأدرى . فلما جهز أبى الفرح ، ولم يبق غير كتب الكتاب ، والدخول على بنت عمى . أراد أبى أن يكتب الكتاب

بعد صلاة الجمعة ؛ ثم توجه إلى أصحابه من التجار وغيرهم ، وأعلمهم بذلك ، ومضت أمي ودعت صاحباتها من النساء ، ودعت أقاربها. فلما جاء يوم الجمعة ، غسلوا القاعة المعدة للجلوس ، وغسلوا رخامها ، وفرشوا فى دارنا البسط ، ووضعوا فيها ما يحتاج إليه الأمر ، بعد أن زوقوا حيطانها بالقماش المقصب ، واتفق الناس أن يجيئوا إلى بيتنا بعد صلاة الجمعة .

ثم مضى أبى ، وعمل الحلويات وأطباق السكر ، وما بقى غير كتب الكتاب . وقد أرسلتنى أمى إلى الحمام ، وأرسلت خلفى بذلة جديدة من أفخر الثياب . فلما خرجت من الحمام ، لبست تلك البذلة الفاخرة ، وكانت مطيبة ، فلما لبستها فاحت منها رائحة زكية ، وعَبِقت بها الطريق . ثم أردت أن أذهب إلى الجامع ، فتذكرت صاحبا لى ، فرجعت أفتش عليه ليحضر كتب الكتاب ، وقلت فى نفسى : أشتغل بهذا الأمر إلى أن يقرب وقت الصلاة .

ثم إنى دخلت زقاقا ما دخلته قط ، وكنت أتصبب عرقا من أثر الحمام والقماش الجديد الذى على جسدى ، فساح عرقى ، وفاحت رائحتى ، فقعدت فى رأس الزقاق لأرتاح على مصطبة ، وفرشت منديلا مطرزا كان معى . فاشتد علىَّ الحر ، فعرق جبينى ، وصار العرق ينحدر على وجهى . ولم يمكننى مسح العرق عن وجهى بالمنديل ، لأنه مفروش تحتى ، فأردت أن آخذ ذيل ردائى وأمسح وجنتى ؛ فما أدرى إلا ومنديل أبيض وقع علىَّ من فوق ، وكان ذلك المنديل أرق من النسيم ، ورؤيته ألطف من شفاء السقيم . فأمسكته بيدى ، ورفعت رأسى إلى فوق ، لأنظر من أين سقط هذا المنديل ، فوقعت عينى فى عين صاحبة هذا الغزال المرسوم .



وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

(**فلما كانت الليلة الثالثة عشرة بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الشاب قال لتاج الملوك : فرفعت رأسى إلى فوق ، لأنظر من أين سقط هذا المنديل ، فوقعت عينى فى عين صاحبة هذا الغزال المرسوم ؛ وإذا بها مُطلة من طاقة ، من شباك من نحاس ، لم تر عينى أجمل منها ، وبالجملة يعجز عن وصفها لسانى .

فلما رأتنى نظرت إليها ، وضعت أصبعها فى فمها ، ثم أخذت أصبعها الأوسط ، وألصقته بأصبعها الشاهد[١] ووضعتهما على صدرها بين نهديها ، ثم أدخلت رأسها من الطاقة ، وسدت باب الطاقة وانصرفت .

فانطلقت فى قلبى النار ، وزاد بى الاستعار ، وأعقبتنى النظرة ألف حسرة ، وتحيرت لأنى لم أسمع ما قالت ، ولم أفهم ما به أشارت . فنظرت إلى الطاقة ثانيا فوجدتها مغلقة ، فصبرت إلى مغيب الشمس ، فلم أسمع حسا ، ولم أر شخصا . فلما يئست من رؤيتها قمت من مكانى ، وأخذت المنديل معى ، ثم فتحته ففاحت منه رائحة المسك ، فحصل لى من تلك الرائحة طرب عظيم ، حتى صرت كأننى فى الجنة . ثم نشرته بين يدى ، فسقطت منه ورقة لطيفة ؛ ففتحت الورقة ، فرأيتها معطرة بالروائح الزكيات ، ومكتوب فيها هذه الأبيات :

---

(١) الشاهد : يراد به السبابة .

بعــثت له أشكــوه من ألم الجوى
بخط رقيــق، والخطــوط فنــون
فقــال خلــيلى: ما لخطك هكــذا
رقيقــا دقيقــا لا يكــاد يَبين
فقــلت: لأنى فى نحول ودِقّــة
كذاك خطوط العــاشقين تكــون

ثم بعد أن قرأت الأبيات، أمعنت فى المنديل نظر العين، فرأيت فى إحدى حاشيتيه تسطير هذين البيتين:

كتب العِــذار ويــا له من كاتب
سطريــن فى خدَّيــه بالــريحان
وَا حيرة القمريــن منــه إذا بدا
وإذا انثنــى، وا خجلــة الأغصان

ومسطر فى الحاشية الأخرى هذان البيتان:

كتب العِــذار بعــنبر فى لؤلــؤ
سطرين من سبــج على تفــاح[١]
القتــل فى الحدق المراض إذا رنت
والسُّكْرُ فى الوجنات لا فى الــراح

فلما رأيت ما على المنديل من الأشعار، انطلق فى فؤادى لهيب النار، وزادت بى الأشواق والأفكار؛ وأخذت المنديل والورقة، وأتيت بهما إلى البيت، وأنا لا أدرى لى حيلة فى الوصال، ولا أستطيع فى العشق تفصيل

---

(١) السبج: الخزّ الأسود.

الإجمال . فما وصلت إلى البيت إلا بعد مدة من الليل ، فرأيت بنت عمى جالسة تبكى . فلما رأتنى مسحت دموعها ، وأقبلت علىّ وخلعت عنى ثيابى ، وسألتنى عن سبب غيابى ؛ وأخبرتنى أن جميع الناس من أمراء وكبراء وتجار وغيرهم قد اجتمعوا فى بيتنا ، وحضر القاضى والشهود ، وأكلوا الطعام ، واستمروا مدة جالسين ينتظرون حضورك من أجل كتب الكتاب ؛ فلما يئسوا من حضورك تفرقوا ، وذهبوا إلى حال سبيلهم ، وقالت لى : إن أباك اغتاظ بسبب ذلك غيظا شديدا ، وحلف أنه لا يكتب كتابنا إلا فى السنة المقبلة ، لأنه غرم فى هذا الفرح مالا كثيرا .

ثم قالت لى : ما الذى جرى لك فى هذا اليوم ، حتى تأخرت إلى هذا الوقت ، وحصل ما حصل بسبب غيابك ؟

فقلت لها : جرى لى كذا وكذا .

وذكرت لها المنديل ، وأخبرتها بالخبر من أوله إلى آخره ، فأخذت الورقة والمنديل ، وقرأت ما فيهما ، وجرت دموعها على خدودها وأنشدت :

من قال : أول الهوى اختيـــــار
فقـــل : كذبت كلـــه اضطـــرار

ثم إنها قالت لى : فما قالت لك ، وما أشارت به إليك ؟

فقلت لها : ما نطقت بشىء ، غير أنها وضعت إصبعها فى فمها ، ثم قرنتها بالإصبع الأوسط ، وجعلت الإصبعين على صدرها ، وأشارت إلى الأرض ، ثم أدخلت رأسها ، وأغلقت الطاقة ، ولم أرها بعد ذلك ، فأخذت قلبى معها . فقعدت إلى غياب الشمس أنتظر أنها تطل من الطاقة ثانية فلم تفعل . فلما يئست منها قمت من ذلك المكان ؛ وهذه قصتى ، وأشتهى منك أن تعينى على ما بليت .



فرفعت رأسها إلىّ وقالت : يا ابن عمى لو طلبت عينى لأخرجتها لك من جفونى ، ولا بد أن أساعدك على حاجتك ، وأساعدها على حاجتها ، فإنها مغرمة بك ، كما أنك مغرم بها .

فقلت لها : وما تفسير ما أشارت به ؟

قالت : أما وضع إصبعها فى فمها ، فإنه إشارة إلى أنك عندها بمنزلة روحها من جسدها ، وأنها تعض على وصالك بالنواجذ . وأما المنديل فإنه إشارة إلى سلام المحبين على المحبوبين . وأما الورقة ، فإنها إشارة إلى أن روحها متعلقة بك . وأما وضع إصبعيها على صدرها بين نهديها ، فتفسيره أنه تقول لك : « بعد يومين تعال هنا ، ليزول عنى بطلعتك العنا » . واعلم يا ابن عمى أنها لك عاشقة ، وبك واثقة ؛ وهذا ما عندى من التفسير

لإشارتها ، ولو كنت أدخل وأخرج لجمعت بينك وبينها فى أسرع وقت ، وأستركما بذيلى .

قال الغلام : فلما سمعت ذلك منها ، شكرتها على قولها ، وقلت فى نفسى أنا أصبر يومين .

ثم قعدت فى البيت يومين ، لا أدخل ولا أخرج ، ولا آكل ولا أشرب ؛ ووضعت رأسى فى حجر ابنة عمى ، وهى تسلينى وتقول لى : قوّ عزمك وهمتك ، وطيب قلبك وخاطرك .

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

١١٤

(**فلما كانت الليلة الرابعة عشرة بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الشاب قال لتاج الملوك : فلما انقضى اليومان ، قالت لى ابنة عمى : طب نفسا وقر عينا ، والبس ثيابك ، وتوجه إليها على الميعاد .

ثم إنها قامت وغيرت أثوابى وبخرتنى ؛ ثم إنى شددت عزمى ، وقويت قلبى ، وخرجت ومشيت إلى أن دخلت الزقاق ، وجلست على المصطبة ساعة ؛ وإذا بالطاقة قد انفتحت ، فنظرت بعينى إليها ، فلما رأيتها وقعت مغشيا علىّ . ثم أفقت ، فشددت عزمى ، وقويت قلبى ونظرت إليها ثانيا فغبت عن الوجود . ثم استفقت فرأيت معها مرآة ومنديلا أحمر ؛ وحين رأتنى شمرت عن ساعديها ، وفتحت أصابعها الخمس ، ودقت بها على صدرها بالكف والخمس الأصابع ؛ ثم رفعت يديها ، وأبرزت ماء من الطاقة ، وأخذت المنديل الأحمر ، ودخلت به وعادت وأدلته من الطاقة إلى صوب الزقاق ثلاث مرات ، وهى تدليه وترفعه ، ثم عصرته ولفته بيدها ،

وطأطأت رأسها ثم جذبته من الطاقة ، وأغلقت الطاقة وانصرفت ؛ ولم تكلمنى كلمة واحدة ، بل تركتنى حيران ، لا أعلم ما أشارت به . واستمررت جالسا إلى وقت العشاء ، ثم جئت إلى البيت قرب نصف الليل ، فوجدت ابنة عمى واضعة يدها على خدها ، وأجفانها تسكب العبرات ، وهى تنشد هذه الأبيات :

ما لى وللاَّحى عليك يُعَنِّف
كيف السلو وأنت غصن أهيف

يا طلعة سلبت فؤادى وانثنت
ما للهوى العُذْرِىِّ عنها مصرف

تركية الألحاظ تفعل بالحشا
ما ليس يفعله الصَّقيل المرهف

حمَّلتنى ثقل الغرام وليس لى
جَلَد على حمل القميص ، وأضعف

ولقد بكيت دمًا لقول عواذلى
من جَفْنِ من تهوى يروعك مرهف

يا ليت قلبى مثل قلبك إنما
جسمى كخصرك بالنحافة مُتْلَفُ

لك يا أمير فى الملاحة ناظر
صَعْب علىَّ وحاجب لا ينصف

كذب الذى قال : الملاحة كلها
فى يوسف ، كم فى جمالك يوسف

أتكلف الإعراض عنك مخافة
من أعين الرقباء ، كم أتكلف

فلما سمعت شعرها زاد بى من الهموم، وتكاثرت علىَّ الغموم، ووقعت فى زوايا البيت. فنهضت إلىَّ وحملتنى، وخلعت لى أثوابى ومسحت وجهى بكمها، ثم سألتنى عما جرى لى.

فحكيت لها جميع ما حصل منها، فقالت : يا ابن عمى، أما إشارتها بالكف والخمس الأصابع، فإن تفسيره تعال بعد خمسة أيام. وأما إشارتها بالمرآة والمنديل وإبراز رأسها من الطاقة، فإن تفسيره اقعد على دكان الصباغ حتى يأتيك رسولى.

فلما سمعت كلامها اشتعلت النار فى قلبى، وقلت : بالله يا بنت عمى إنك تصدقيننى فى هذا التفسير، لأنى رأيت فى الزقاق صباغا يهوديا.

ثم بكيت، فقالت، قوّ عزمك، وثبت قلبك، فإن غيرك يشتغل بالعشق مدة سنين، ويتجلد على حر الغرام؛ وأنت لك جمعة، فكيف يحصل لك هذا الجزع؟

ثم أخذت تسلينى بالكلام، وأتت لى بالطعام، فأخذت لقمة وأردت أن آكلها، فما قدرت؛ فامتنعت عن الشراب والطعام، وهجرت لذيذ المنام، واصفر لونى، وتغيرت محاسنى، لأنى ما عشقت قبل ذلك، ولا ذقت حرارة العشق إلا فى هذه المرة؛ فضعفت بنت عمى من أجلى، وصارت تذكر لى أحوال العشاق والمحبين على سبيل التسلى فى كل ليلة، إلى أن أنام؛ وكنت أستيقظ فأجدها سهرانة من أجلى، ودمعها يجرى على خدها. ولم أزل كذلك إلى أن مضت الخمسة الأيام، فقامت ابنة عمى، وسخنت لى ماء لأستحم، وألبستنى ثيابى وقالت لى : توجه إليها، قضى الله حاجتك، وبلغك مقصودك من محبوبتك.

فمضيت، ولم أزل ماشيا إلى أن أتيت إلى رأس الزقاق، وكان ذلك فى يوم السبت، فرأيت دكان الصباغ مقفلا، فجلست عليه، حتى أذن

العصر ، واصفرت الشمس ؛ وأذن المغرب ودخل الليل ، وأنا لا أدرى لها أثر ، ولا أسمع لها حسا ولا خبرا . فخشيت على نفسى وأنا جالس وحدى ، فقمت ومشيت وأنا كالسكران ، إلى أن دخلت البيت . فلما دخلت رأيت ابنة عمِّى عزيزة ، وإحدى يديها قابضة على وتد مدقوق فى الحائط ، ويدها الأخرى على صدرها ، تصعد الزفرات ، وتنشد هذه الأبيات :

وما وجد أعرابية بان أهلها
فحنَّت إلى بان الحجاز ورنده[1]
إذا آنست ركبا تكفَّل شوقها
بنار قِراه والدموع بِورده[2]
بأعظم من وجدى بحِبِّى[1] وإنَّما
يرى أننى أذنبت ذنبا بودِّه

فلما فرغت من شعرها ، التفتت إلىَّ فرأتنى أبكى ، فمسحت دموعها ودموعى بكمها ، وتبسمت فى وجهى وقالت لى : يا ابن عمى ، هنأك الله بما أعطاك . فلأى شىء لم تبت الليلة عند محبوبتك ، ولم تقض منها أربك ؟

فلما سمعت كلامها رفستها برجلى فى صدرها ، فانقلبت علىَّ الإيوان ، فجاءت جبهتها على طرف الإيوان ، وكان هناك وتد ، فجاء فى جبهتها فتأملتها فرأيت جبينها قد انفتح وسال دمها .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(١) بان أهلها : فارقوها . والبان : شجر معتدل القوام . والرند : نبات من شجر البادية .

(٢) القرى : ما يقدَّم للضيف . والورد : الماء الذى يورد .

(٣) الحِب : الحبيب .

(**فلما كانت الليلة الخامسة عشرة بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الشاب قال لتاج الملوك : فلما رفست ابنة عمى فى صدرها انقلبت على طرف الإيوان ، فجاء الوتد بجبهتها ، فانفتح جبينها ، وسال دمها ؛ فسكتت ولم تنطق بحرف واحد . ثم إنها قامت فى الحال ، وأحرقت خَرْوقا[1] وحشت به ذلك الجرح ، وتعصبت بعصابة ، ومسحت الدم الذى سال على البساط ، وكأن شيئا لم يحدث . ثم إنها أتتنى ، وتبسمت فى وجهى ، وقالت لى بلين الكلام : والله يا ابن عمى ما قلت هذا الكلام استهزاء بك ولا بها ؛ وقد كنت مشغولة بوجع رأسى ومسح الدم ، وفى هذه الساعة قد خفت جبهتى ، فأخبرنى بما كان من أمرك فى هذا اليوم .

فحكيت لها جميع ما وقع لى منها فى ذلك اليوم ؛ وبعد كلامى بكيت ، فقالت : يا ابن عمى أبشر بنجاح قصدك ، وبلوغ أملك . إن هذه علامة القبول ، وذلك أنها غابت عنك ، لأنها تريد أن تختبرك ، وتعرف هل أنت صابر أو لا ، وهل أنت صادق فى محبتها أو لا . وفى غد توجه إليها فى مكانك الأول ، وانظر ماذا تشير به إليك ، فقد قربت أفراحك ، وزالت أتراحك .

وصارت تسلينى على ما بى ، وأنا لم أزل متزايد الهموم والغموم . ثم قدمت لى الطعام فرفسته ، فانسكبت كل زبدية فى ناحية ، وقلت : كل من كان عاشقا فهو مجنون ، لا يميل إلى الطعام ، ولا يلتذ بمنام .

فقالت لى ابنة عمى عزيزة : والله يا ابن عمى إن هذه علامة المحبة .

وسالت دموعها ، ولمت شَقَف الزبادى ، ومسحت الطعام ، وجلست تسامرنى ، وأنا أدعو الله أن يصبح الصباح . فلما أصبح

الصباح ، وأضاء بنوره ولاح ، توجهت إليها ، ودخلت ذلك الزقاق بسرعة ، وجلست على تلك المصطبة ؛ وإذا بالطاقة قد انفتحت ، وأبرزت رأسها منها وهى تضحك . ثم غابت ورجعت ، ومعها مرآة وكيس ، وقصرية ممتلئة زرعا أخضر ، وفى يدها قنديل ؛ فأول ما فعلت أخذت المرآة فى يدها وأدخلتها فى الكيس ، ثم ربطته ورمته فى البيت ؛ ثم أرخت شعرها على وجهها ، ثم وضعت القنديل على رأس الزرع لحظة ، ثم أخذت جميع ذلك وانصرفت به وأغلقت الطاقة . فانفطر قلبى من هذه الحال ، ومن إشارتها الخفية ، ورموزها المخفية ، وهى لم تكلمنى بكلمة قط . فاشتد لذلك غرامى ، وزاد وجدى وهيامى . ثم إنى رجعت على عقبى ، وأنا باكى العين حزين القلب ، حتى دخلت البيت ، فرأيت بنت عمى قاعدة ، ووجهها إلى الحائط ، وقد احترق قلبها من الهم والغم والغيرة ؛ ولكن محبتها منعتها من أن تخبرنى بشىء مما عندها من الغرام ، لما رأت ما أنا فيه من كثرة الوجد والهيام . ثم نظرت إليها فرأيت على رأسها عصابتين ، إحداهما من الوقعة على جبهتها ؛ والأخرى على عينيها بسبب وجع أصابهما من شدة بكائها ؛ وهى فى أسوأ الحالات ، تبكى وتنشد هذه الأبيات :

أينما كنت لم تزل بأمـــــــان
أيها الراحــــل المقيم بقلبـــــى
ولك الله حيث أمسيت جارا
مُنقـذا من صروف دهـر وخَـطب
غِبت فاستوحشت لبعـدك عينـى
واستهلت مدامعـــــــى أىَّ سَكب
ليت شعــرى بأى أرض ومغنًـى
أنت مستوطـــــــن بدار وشعب

إن يكـــن شربك القـــراح زلالا

فدموعـــى من المحاجـــر شربى

كل شيء سوى فراقك عذب

كالتجـــافى بين الرقـــاد وجنبـــى

فلما فرغت من شعرها نظرت إلىّ، فرأتنى وهى تبكى؛ فمسحت دموعها، ونهضت إلىّ ولم تقدر أن تتكلم مما هي فيه من الوجد، ولم تزل ساكتة برهة من الزمان؛ ثم بعد ذلك قالت: يا ابن عمى، أخبرى بما حصل لك منها فى هذه المرة.

فأخبرتها بجميع ما حصل لى، فقالت لى: اصبر فقد آن أوان وصالك، وظفرت ببلوغ آمالك، أما إشارتها لك بالمرآة وكونها أدخلتها فى الكيس، فإنها تقول لك: « اصبر إلى أن تغطس الشمس ». وأما إرخاؤها شعرها على وجهها، فإنها تقول لك: « إذا أقبل الليل وانسدل سواد الظلام على نور النهار، فتعال ». وأما إشارتها لك بالقصرية التى فيها زرع، فإنها تقول لك: « إذا جئت فادخل البستان الذى وراء الزقاق ». وأما إشارتها لك بالقنديل، فإنها تقول لك: « إذا دخلت البستان فامش فيه، وأى موضع وجدت فيه القنديل مضيئا فتوجه إليه، واجلس تحته وانتظرنى، فإن هواك قاتلنى ».

فلما سمعت كلام ابنة عمى، صحت من فرط الغرام وقلت: كم تعديننى وأتوجه إليها ولا أحصل مقصودى، ولا أجد لتفسيرك معنى صحيحا.

فعند ذلك ضحكت بنت عمى وقالت لى: بقى عليك من الصبر أن تصبر بقية هذا اليوم إلى أن يولى النهار، ويقبل الليل بالاعتكار، فتحظى بالوصال، وبلوغ الآمال، وهذا الكلام صدق بغير يمين.

ثم أنشدت هذين البيتين :

دَرِّج الأيـــــام تنــــــدرج
وبيــــوت الهم لا تلــــج
رب أمـــــر عزَّ مطلبــــه
قرَّبتــه ساعـــة الفـــرج

ثم إنها أقبلت عليَّ ، وصارت تسليني بلين الكلام ، ولم تجسر أن تأتيني بشيء من الطعام ، مخافة من غضبي عليها ورجاء ميلي إليها . ولم يكن لها قصد إلا أنها أتت إليَّ وخلعت لي ثيابي ، ثم قالت : يا ابن عمي ، اقعد معي حتى أحدثك بما يسليك إلى آخر النهار ، وإن شاء الله تعالى ما يأتي الليل إلا وأنت عند محبوبتك .

فلم ألتفت إليها ، وصرت أنتظر مجيء الليل وأقول : يا رب عجل بمجيء الليل .

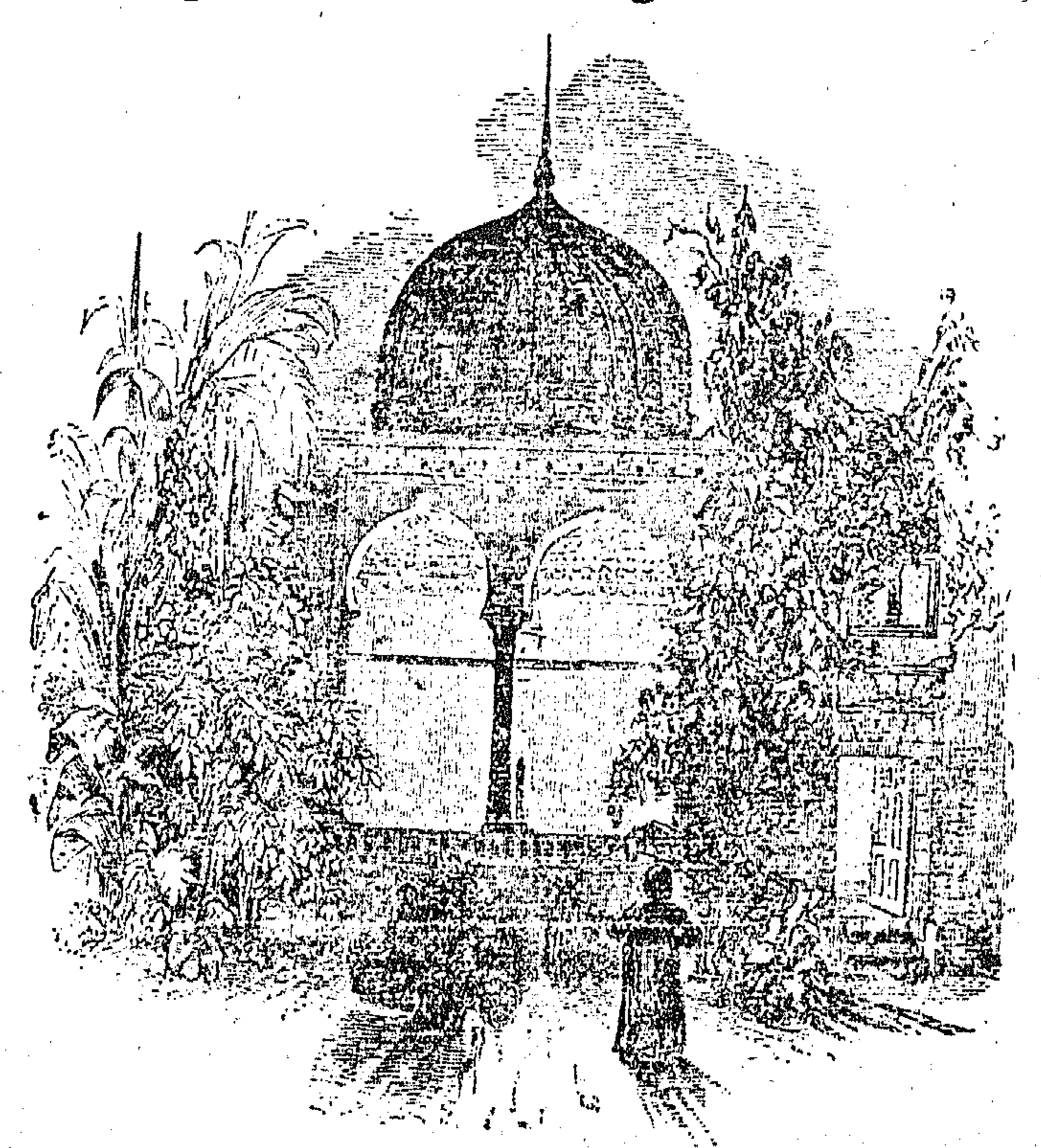
فلما أتى الليل ، بكت ابنة عمي بكاء شديدا ، وأعطتني حبَّة مسك خالص وقالت لي : يا ابن عمي ، اجعل هذه الحبة في فمك ، فإذا اجتمعت بمحبوبتك ، وسمحت لك بما تمنيت ، فأنشدها هذا البيت :

ألا أيها الـــعشاق بالله خَبِّـــروا
إذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع ؟

ثم إنها قبلتني ، وحلفتني أني لا أنشدها ذلك البيت من الشعر إلا بعد خروجي من عندها ، فقلت لها : سمعا وطاعة .

ثم خرجت وقت العشاء ، ومشيت ولم أزل ماشيا حتى وصلت إلى البستان ، فوجدت بابه مفتوحا فدخلته ، فرأيت نورا على بعد فقصدته . فلما وصلت إليه ، وجدت مقعدا عظيما ، معقودا عليه قبة من العاج والأبنوس ، والقنديل معلق في وسط تلك القبة ، وذلك المقعد مفروش

بالبسط الحرير ، المزركشة بالذهب والفضة ؛ وهناك شمعة كبيرة مضاءة فى شمعدان من الذهب تحت القناديل ، وفى وسط المقعد فسقية فيها أنواع التصاوير ، وبجانب تلك الفسقية سفرة مغطاة بفوطة من الحرير ، وإلى جانبها باطِيَة كبيرة من الصينى مملوءة خمرا ، وفيها قدح من بلور مزركش بالذهب ، وإلى جانب الجميع طبق كبير من الفضة مغطى ؛ فكشفته



فرأيت فيه من سائر الفواكه ما بين تين ورمان وعنب ونارنج وأترنج وكُبَّاد ، وبينها أنواع من الرياحين من ورد وياسمين وآس ونسرين

ونرجس ، ومن سائر المشمومات ، فَهِمْت بذلك المكان ، وفرحت غاية الفرح ، وزال عنى الهم والترح ؛ لكننى ما وجدت فى هذه الدار أحدا من خلق الله تعالى .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١١٦

(**فلما كانت الليلة السادسة عشرة بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك : لكننى ما وجدت فيه أحدا من خلق الله تعالى ، ولم أر عبدا ولا جارية ، ولا من يعانى هذه الأمور . فجلست فى ذلك المقعد أنتظر مجىء محبوبة قلبى ، إلى أن مضت أول ساعة من الليل ، وثانى ساعة ، وثالث ساعة ، فلم تأت ؛ واشتد بى ألم الجوع ، لأن لى مدة من الزمان ما أكلت طعاما لشدة وجدى . فلما رأيت ذلك المكان ، وظهر لى صدق بنت عمى فى فهم إشارة معشوقتى ، استرحت ووجدت ألم الجوع ، وقد شوقتنى روائح الطعام الذى فى السفرة لما وصلت إلى ذلك المكان ، واطمأنت نفسى بالوصال ، فاشتهت نفسى الأكل ؛ فتقدمت إلى السفرة ، وكشفت الغطاء ، فوجدت فى وسطها طبقا من الصينى ، وفيه أربع دجاجات محمرة ومُتبلة بالبهارت ، وحول ذلك الطبق أربع زبديات : واحدة حلوى ، والأخرى حب الرمان ، والثالثة بقلاوة ، والرابعة قطائف ؛ والزبادى ما بين حلو وحامض . فأكلت من القطائف ، وأكلت قطعة لحم ، وعمدت إلى البقلاوة وأكلت منها ما تيسر ، ثم قصدت الحلوى وأكلت ملعقة أو اثنتين أو ثلاثا أو أربعا ، أكلت بعض دجاجة ، وأكلت لقمة ؛ فعند ذلك امتلأت بطنى ، وارتخت مفاصلى ، وقد كسلت عن

السهر ، فوضعت رأسى على وسادة ، بعد أن غسلت يدى ، فغلبى النوم ، ولم أعلم بما جرى لى بعد ذلك ؛ فما استيقظت حتى أحرقنى حر الشمس ، لأن لى أيامًا ما ذقت منامًا . فلما استيقظت وجدت على بطنى ملحًا وفحمًا فانتصبت قائما ، ونفضت ثيابى ، وقد التفت يمينا وشمالا ، فلم أجد أحدا ؛ ووجدت أنى كنت نائما على الرخام من غير فرش . فتحيَّر عقلى ، وحزنت حزنا عظيما ، وجرت دموعى على خدى ، وتأسفت على نفسى ، فقمت وقصدت البيت . فلما وصلت إليه وجدت ابنة عمى تدق بيدها على صدرها ، وتبكى بدمع يبارى السحب الماطرات ، وتنشد هذه الأبيات :

هبَّ ريح من الحمـــــى ونسيمٌ
فأثـــار الهوى بِنَشر هبوبِـــه

يا نسيم الصَّبـــا هلـــم إلينـــا
كل صب بحظـــه ونصيبِـــه

لو قدرنـــا من الغـــرام اعتنقنـــا
كاعتنـــاق المحب صدر حبيبِـــه

حرم الله بعـد وجـــه ابـــن عمـــى
كلَّ عيش من الزمـــان وطيبِـــه

ليت شعرى هل قلبه مثـل قلبـــى
ذائب من حَرِّ الهوى ولهيبِـــه

فلما رأتنى قامت مسرعة ، ومسحت دموعها ، وأقبلت علىَّ بلين كلامها وقالت : يا ابن عمى ، أنت فى عشقك قد لطف الله بك حيث أحبك من تحب ، وأنا فى بكائى وحزنى على فراقك ، فمن يلومنى ؟ ولكن لا آخَذَكَ الله من جهتى .

ثم إنها تبسمت فى وجهى تبسم الغيظ ، ولاطفتنى وخلعت لى ثيابى ، ونشرتها وشمتها ، وقالت : والله ما هذه روائح من حَظِىَ بمحبوبته ، فأخبرنى بما جرى لك يا ابن عمى .

فأخبرتها بجميع ما جرى لى ، فتبسمت تبسم الغيظ ثانيا وقالت ، إن قلبى ملآن موجع ، فلا عاش من يوجع قلبك ؛ وهذه المرأة تتعزز عليك تعززا قويا . والله يا ابن عمى إنى خائفة عليك منها . واعلم يا ابن عمى أن تفسير الملح هو أنك مستغرق فى النوم ، فكأنك دلع الطعم بحيث تعافك النفوس ، فينبغى لك أن تتملح حتى لا تمجك الطباع ، لأنك تدعى أنك من العشاق الكرام ، والنوم على العشاق حرام ؛ فدعواك المحبة كاذبة . وكذلك هى محبتها لك كاذبة ، لأنها لما رأتك نائما لم تنبهك ، ولو كانت محبتها لك صادقة لنبهتك . وأما الفحم ، فإن تفسير إشارته : سود الله وجهك حيث ادعيت المحبة كذبا ، وإنما أنت صغير لم يكن لك همة إلا للأكل والشرب والنوم . فهذا تفسير إشارتها ، فالله تعالى يخلصك منها .

فلما سمعت كلامها ضربت بيدى على صدرى وقلت : والله إن هذا هو الصحيح ، لأنى نمت ، والعشاق لا ينامون ؛ فأنا الظالم لنفسى ، وما كان أضر علىّ من الأكل والنوم ، فكيف الأمر ؟

ثم إنى زدت فى البكاء ، وقلت لابنة عمى : دلينى على شىء أفعله ، وارحمينى يرحمك الله ، وإلا مت .

وكانت بنت عمى تحبنى محبة عظيمة .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(**فلما كانت الليلة السابعة عشرة بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك : فقالت لى : على رأسى وعينى ، ولكن يا ابن عمى قد قلت لك مرارا : « لو كنت أدخل وأخرج لكنت أجمع بينك وبينها فى أقرب زمن ، وأغطيكما بذيلى ، ولا أفعل معك هذا إلا لقصد رضاك » . وإن شاء الله تعالى أبذل غاية الجهد بينكما . ولكن اسمع قولى ، وأطع أمرى ، واذهب إلى نفس ذلك المكان ، واقعد هناك ؛ فإذا كان وقت العشاء ، فاجلس فى الموضع الذى كنت فيه ، واحذر أن تأكل شيئا ، لأن الأكل يجلب النوم . وأياك أن تنام ، فإنها لا تأتى لك حتى يمضى من الليل ربعه ، كفاك الله شرها .

فلما سمعت كلامها فرحت ، وصرت أدعو الله أن يأتى الليل . فلما أردت الانصراف ، قالت لى ابنة عمى : إذا اجتمعت بها ، فاذكر لها البيت المتقدم وقت انصرافك .

فقلت لها : على الرأس والعين .

فلما خرجت وذهبت إلى البستان ، وجدت المكان مهيأ على الحال التى رأيتها أولا ، وفيه ما يحتاج إليه من الطعام والشراب والنقل والمشموم وغير ذلك . فطلعت إلى المقعد وجلست ، وشممت رائحة الطعام فاشتاقت نفسى إليه ، فمنعتها مرارا فلم أقدر على منعها ؛ فقمت وأتيت إلى السفرة ، وكشفت غطاءها ، فوجدت صحن دجاج ، وحوله أربع زبديات من الطعام ، فيها أربعة ألوان ؛ فأكلت من كل لون لقمة ، وأكلت ما تيسر من الحلوى ، وأكلت قطعة لحم ، وشربت من الزردة ، وأعجبتنى فأكثرت

الشرب منها بالملعقة حتى شبعت وامتلأت بطنى ؛ وبعد ذلك انطبقت أجفانى . فأخذت وسادة ووضعتها تحت رأسى وقلت : « لعلى أتكىء عليها ولا أنام » . فأغمضت عينى ونمت ، وما انتبهت حتى طلعت الشمس ، فوجدت على بطنى كعب عظم ، وفردة طاب[1] ، ونواة بلح ، وبذرة خروب ، وليس فى المكان شىء من فرش ولا غيره ، وكأنه لم يكن فيه شىء بالأمس . فقمت ونفضت الجميع عنى ، وخرجت وأنا مغتاظ ، إلى أن وصلت إلى البيت ، فوجدت ابنة عمى تصعد الزفرات ، وتنشد هذه الأبيات :

جسد ناحل وقلب جريح
ودموع على الخدود تسيح
وحبيب صعب التجنى ولكن
كل ما يفعل المليح مليح
يا ابن عمى ملأت بالوجد قلبى
إن طرفى من الدموع قريح

فنهرت ابنة عمى وشتمتها ، فبكت ثم مسحت دموعها ، وأقبلت علىَّ وقبلتنى ، وأخذت تضمنى إلى صدرها ، وأنا أتباعد عنها وأعاتب نفسى ، فقالت لى : يا ابن عمى ، كأنك نمت فى هذه الليلة ؟

فقلت لها : نعم ، ولكننى لما انتبهت وجدت كعب عظم على بطنى وفردة طاب ، ونواة بلح وبذرة خروب ، وما أدرى لأى شىء فعلت هكذا .

---

(١) الطاب : لعبة تتكون من أربع قطع من جريد النخل مشقوقة ولم يذكر لها تعريف فى كتب اللغة ولكنها مشهورة فى القرى .

ثم بكيت ، وأقبلت عليها ، وقلت لها : فسرى لى إشارة فعلها هذا ، وقولى لى ماذا أفعل ، وساعدينى على الذى أنا فيه .

فقالت لى : على الرأس والعين . أما كعب العظم والطاب اللذان وضعتهما على بطنك ، فإنها تشير لك إلى أنك حضرت وقلبك غائب ، وكأنها تقول لك : « ليس العشق هكذا ، فلا تعد نفسك من العاشقين » . وأما نواة البلح فإنها تشير بها إلى أنك لو كنت عاشقا ، لكان قلبك محترقا بالغرام ، ولم تذق لذيذ المنام ، فإن لذة الحب كتمرة ، ألهبت فى الفؤاد جمرة . وأما بذرة الخروب ، فإنها تشير لك بها إلى أن قلب المحب مسلوب ، وتقول لك : اصبر على فراقها صبر أيوب .

فلما سمعت هذا التفسير ، انطلقت فى فؤادى النيران ، وزادت بقلبى الأحزان ، فصحت وقلت : قد قدر الله علىَّ النوم لقلة بختى .

ثم قلت لها ، يا ابنة عمى ، بحياتى عندك دبِّرى لى حيلة أتوصل بها إليها .

فبكت وقالت : يا عزيز يا ابن عمى ، إن قلبى ملآن بالفكر ، ولا أقدر أن أتكلم . ولكن رح الليلة إلى ذلك المكان ، واحذر أن تنام ، فإنك تبلغ المرام ، هذا هو الرأى والسلام .

فقلت لها : إن شاء الله لا أنام ، وإنما أفعل ما تأمريننى به .

فقامت بنت عمى ، وأتت بالطعام وقالت لى : كل الآن ما يكفيك ، حتى لا يبقى فى خاطرك شىء .

فأكلت كفايتى ، ولما أتى الليل قامت بنت عمى ، وأتتنى ببذلة عظيمة ، وألبستنى إياها ، وحلفتنى أن أذكر لها البيت المذكور ، وحذرتنى من النوم .

ثم خرجت من عند بنت عمى ، وتوجهت إلى البستان ؛ وجلست على

ذلك المقعد ، ونظرت إلى البستان ، وجعلت أفتح عينى بأصابعى ، وأهز رأسى حين جن الليل .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١١٨

(**فلما كانت الليلة الثامنة عشرة بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الشاب قال لتاج الملوك : وجعلت أفتح عينى بأصبعى ، وأهز رأسى حين جن الليل ، فجعت من السهر ، وهبت علىّ روائح الطعام فازداد جوعى ؛ وتوجهت إلى السفرة ، وكشفت غطاءها وأكلت من كل لون لقمة ، وأكلت قطعة لحم ، وأتيت إلى باطية الخمر وقلت فى نفسى : « أشرب قدحًا » . فشربته ، ثم شربت الثانى والثالث إلى غاية عشرة ، وقد ضربنى الهواء فوقعت على الأرض كالقتيل ، وما زلت كذلك حتى طلع النهار . فانتبهت فرأيت نفسى خارج البستان ، وعلى بطنى شفرة ماضية ، ودرهم حديد . فارتجفت ، وأخذتهما وأتيت بهما إلى البيت ، فوجدت ابنة عمى تقول : إنى فى هذا البيت مسكينة حزينة ، ليس لى معين إلا البكاء .

فلما دخلت وقعت من طولى ، ورميت السكين والدرهم من يدى ، وغشى علىَّ . فلما أفقت من غشيتى ، عرفتها بما حصل لى ، وقلت لها : إنى لم أنل أربى .

فاشتد حزنها علىَّ لما رأت بكائى ووجدى ، وقالت لى : إنى عجزت ، وإنى نصحتك بعدم النوم فلم تسمع نصيحتى ، فكلامى لا يفيدك شيئا .

فقلت لها ، أسألك بالله أن تفسرى لى إشارة السكين والدرهم الحديد .

فقالت : أما الدراهم الحديد ، فإنها تشير بها إلى عينها اليمنى ، وأنها تقسم

بها وتقول : « وحق رب العالمين ، وحق عينى اليمنى ، إن رجعت ثانى مرة ونمت لأذبحنك بهذه السكين » . وأنا خائفة عليك يا ابن عمى من مكرها ، وقلبى ملآن بالحزن عليك ، فما أقدر أن أتكلم . فإن كنت تعرف أنك إن رجعت إليها لا تنام ، فارجع إليها ، وأحذر النوم ، فإنك تفوز بحاجتك . وإن عرفت أنك رجعت إليها تنام على عادتك ، ثم رجعت إليها ونمت ، ذبحتك .



فقلت لها : وكيف يكون العمل يا بنت عمى ؟ أسألك بالله أن تساعدينى على هذه البلية .

فقالت : على عينى ورأسى ، ولكن إن سمعت كلامى ، وأطعت أمرى ، قضيت حاجتك .

فقلت لها : إنى أسمع كلامك ، وأطيع أمرك .

فقالت : إذا كان وقت الرواح أقول لك .

ثم ضمتني إلى صدرها ، ووضعتني على الفراش ، ولا زالت تكبسني حتى غلبني النعاس ، واستغرقت في النوم ؛ فأخذت مروحة ، وجلست عند رأسي تروح على وجهي إلى آخر النهار . ثم نبهتني ، فلما انتبهت وجدتها عند رأسي ، وفي يدها المروحة ، وهي تبكي ودموعها قد بلت ثيابها . فلما رأتني استيقظت ، مسحت دموعها ، وجاءت بشيء من الأكل ، فامتنعت عنه ، فقالت لي : أما قلت لك اسمع مني وكل ؟

فأكلت ولم أخالفها ، وصارت تضع الأكل في فمي ، وأنا أمضغ حتى امتلأت ؛ ثم أسقتني نقيع عناب بالسكر ؛ ثم غسلت يدي ، ونشفتها بمحرمة ، ورشت عليّ ماء الورد . وجلست معها وأنا في عافية ؛ فلما أظلم الليل ، ألبستني ثيابي ، وقالت : يا ابن عمي ، اسهر جميع الليل ولا تنم ؛ فإنها ما تأتيك في هذه الليلة إلا في آخر الليل ، وإن شاء الله تجتمع بها في هذه الليلة ، ولكن لا تنس وصيتي .

ثم بكت ، فأوجعني قلبي عليها من كثرة بكائها ، وقلت لها : ما هي الوصية التي وعدتني بها ؟

فقالت لي : إذا انصرفت من عندها ، فأنشدها البيت المتقدم ذكره .

ثم خرجت من عندها فرحان ، ومضيت إلى البستان ، وطلعت على المقعد وأنا شبعان ، فجلست وسهرت إلى ربع الليل . ثم طال الليل كأنه سنة ، فمكثت ساهرا حتى مضى ثلاثة أرباع الليل ، وصاحت الديوك . فاشتد عندي الجوع من السهر ؛ فقمت إلى السفرة وأكلت حتى أكتفيت ، فثقل رأسي وأردت أن أنام ؛ وإذا بضجة على بعد ، فنهضت وغسلت يدي وفمي ، ونبهت نفسي . فما كان إلا قليل ، وإذا بها أتت ، ومعها عشر جوار ، وهي بينهن كالبدر بين الكواكب ، وعليها حلة من

الأطلس الأخضر ، مزركشة بالذهب الأحمر ، وهى كما قال الشاعر :

تتيه على العشاق فى حلل خضر
مفككة الأزرار محلولة الشعر !
فقلت لها ما الاسم؟ قالت أنا التى
كويت قلوب العاشقين على الجمر !
شكوت إليها ما أقاسى من الهوى
فقالت : إلى صخر شكوت ولم تدر !
فقلت لها إن كان قلبك صخرة
فقد أنبع الله الزلال من الصخر !

فلما رأتنى ضحكت وقالت : كيف انتبهت ولم يغلب عليك النوم؟ وحيث سهرت الليل علمت أنك عاشق ، لأن من شيم العشاق سهر الليل فى مكابدة الأشواق .

ثم أقبلت على الجوارى وغمزتهن . فانصرفن عنها ، وأقبلت على وضمتنى إلى صدرها ، وقبلتنى وقبلتها .

وكانت تلك الليلة مسرة القلب وقرة الناظر ، كما قال فيها الشاعر :

أهْنَى ليالى الدهرِ عندى ليلة
لم أُخْلِ فيها الكاس من إعمال

فلما أصبح الصباح أردت الانصراف ، وإذا بها أمسكت بى وقالت لى : قف حتى أخبرك بشىء .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١١٩

(**فلما كانت الليلة التاسعة عشرة بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الشاب قال لتاج الملوك : وقالت لى : قف حتى أخبرك بشىء ، وأوصيك وصية .

فوقفت ، فحلت منديلا ، وأخرجت هذه الخرقة ، ونشرتها قدامى ، فوجدت فيها صورة غزال على هذا المثال ؛ فتعجبت منها غاية العجب ، فأخذته ، وتواعدت معها أن أسعى إليها كل ليلة فى ذلك البستان ، ثم انصرفت من عندها وأنا فرحان ، ومن فرحى نسيت الشعر الذى أوصتنى به بنت عمى . وحين أعطتنى الخرقة التى فيها صورة الغزال ، قالت لى : هذا عمل أختى .

فقلت لها : وما اسم أختك ؟

قالت : اسمها نور الهدى ، فاحتفظ بهذه الخرقة .

ثم ودعتها وانصرفت وأنا فرحان ، ومشيت إلى أن دخلت على ابنة عمى ، فوجدتها راقدة . فلما رأتنى قامت ودموعها تتساقط ، ثم أقبلت على ، وقبلت صدرى ، وقالت لى : هل فعلت ما أوصيتك به من إنشاد بيت الشعر ؟

فقلت لها : إنى نسيته ، وما شغلنى عنه إلا صورة هذا الغزال .

ورميت الخرقة قدامها ، فقامت وقعدت ، ولم تطق صبرا ؛ وأفاضت دمع العين ، وأنشدت هذين البيتين :

يا طالبا للفراق مهلا   فلا يغرنّك العناق

مهلا فطبع الزمان غدر   وآخر الصحبة الفراق

فلما فرغت من شعرها قالت : يا ابن عمى ، هب لى هذه الخرقة .

فوهبتها لها ، فأخذتها ونشرتها ، ورأت ما فيها . فلما جاء وقت ذهابى قالت ابنة عمى : اذهب مصحوبا بالسلامة ، ولكن إذا انصرفت من عندها فأنشدها الشعر الذى أخبرتك به أولا ونسيته .

فقلت لها : أعيديه لى .

فأعادته ، ثم مضيت إلى البستان ، ودخلت إلى المقعد ، فوجدت الصبية فى انتظارى ؛ فلما رأتنى قامت وقبلتنى ، ثم أكلنا وشربنا وسهرنا ثم نمنا . فلما أصبح الصباح ، أنشدتها بيت الشعر وهو :

ألا أيها العشاق بالله خَبِّروا
إذا أشتد عشق بالفتى كيف يصنع؟

فلما سمعته هملت عيناها بالدموع ، وأنشدت :

يدارى هواه ثم يكتم سره
ويصبر فى كل الأمور ويخضع!

فحفظته ، وفرحت بقضاء حاجة ابنة عمى . ثم خرجت وأتيت إلى ابنة عمى ، فوجدتها راقدة ، وأمى عند رأسها تبكى على حالها ، فلما دخلت



(العاشق والمعشوق)

عليها قالت لى أمي : تبا لك من ابن عم ، كيف تترك بنت عمك على غير استواء ، ولا تسأل عن مرضها .

فلما رأتنى ابنة عمى رفعت رأسها ، وقعدت وقالت لى : يا عزيز ، هل أنشدتها البيت الذى أخبرتك به ؟

قلت لها : نعم ، ولما سمعته بكت ، وأنشدتنى بيتا آخر وحفظته .

فقالت بنت عمى : أسمعنى إياه .

فلما أسمعتها أياه بكت بكاء شديدا ، وأنشدت هذا البيت :

لقد حاول الصبر الجميل ولم يَجِد
له غير قلب فى الصبابة يجزع

ثم قالت ابنة عمى ، إذا ذهبت إليها على عادتك ، فأنشدها هذا البيت الذى سمعته .

فقلت لها : سمعا وطاعة .

ثم ذهبت إليها فى البستان على العادة ، وكان بيننا ما كان ، مما يقصر عن وصفه اللسان ، فلما أردت الانصراف أنشدتها البيت ؛ فلما سمعته ، سالت مدامعها من المحاجر ، وأنشدت قول الشاعر :

فإن لم يجد صبرا لكتمان سره
فليس له عندى سوى الموت أنفع

فحفظته وتوجهت إلى البيت ، فلما دخلت على ابنة عمى وجدتها ملقاة مغشيًا عليها ، وأمي جالسة عند رأسها . فلما سمعت كلامى ، فتحت عينيها وقالت : يا عزيز ، هل أنشدتها بيت الشعر ؟

قلت لها : نعم ، ولما سمعَتْه بكتْ ، وأنشدتنى ذلك البيت : « فإن لم يجد صبرا .. إلى آخره » .

فلما سمعته بنت عمى غشى عليها ثانية ، فلما أفاقت أنشدت هذا البيت :

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا　　　سلامي على من كان للوصل يمنع

ثم لما أقبل الليل مضيت إلى البستان على جرى عادتى ، فوجدت الصبية فى انتظارى ، فجلسنا وأكلنا وشربنا وسهرنا ثم نمنا إلى الصباح . فلما أردت الانصراف أنشدتها ما قالته ابنة عمى ، فلما سمعت ذلك صرخت صرخة عظيمة ، وتضجرت وقالت : والله إن قائلة هذا الشعر قد ماتت .

ثم بكت وقالت لى : ويلك ، ما قرابة قائلة هذا الشعر لك ؟

قلت لها : إنها ابنة عمى .

قالت : كذبت ، والله لو كانت ابنة عمك لكان عندك لها من المحبة مثل ما عندها لك ؛ فأنت الذى قتلتها ، قاتلك الله كما قتلتها . والله لو أخبرتنى أن لك ابنة عم ما قربتك منى .

فقلت لها : إن ابنة عمى هى التى كانت تفسر لى الإشارات التى كنت تشيرين بها إلى ، وهى التى علمتنى ما أفعل معك ، وما وصلت إليك إلا بحسن تدبيرها .

فقالت : وهل عرفت بنا ؟

قلت : نعم .

قالت : حسرك الله على شبابك كما حسرتها على شبابها .

ثم قالت لى : رح انظرها .



فذهبت وخاطرى مشغول ، وما زلت ماشيا حتى وصلت إلى زقاقنا ، فسمعت صراخا ، فسألت عنه فقيل : إن عزيزة وجدناها خلف الباب ميتة .

ثم دخلت الدار ، فلما رأتنى أمى قالت ، تبًّا لك من ابن عم ، إن خطيئتها فى عنقك ، فلا سامحك الله من دمها .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٢٠

(**فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الشاب قال لتاج الملوك : ثم إن أبى جاء ، وجهزناها وشيعنا جنازتها ودفناها ، وعملنا على قبرها الختمات ، ومكثنا على القبر ثلاثة أيام . ثم رجعت إلى البيت وأنا حزين عليها ، فأقبلت علىَّ أمى وقالت لى : إن قصدى أن أعرف ما الذى كنت تفعله معها حتى فقعت مرارتها ؟ وإنى يا ولدى كنت أسألها فى كل الأوقات عن سبب مرضها فلم تخبرنى به ، ولم تطلعنى عليه ، فبالله عليك أخبرنى بالذى كنت تصنعه معها حتى ماتت .

فقلت : ما عملت شيئا .

فقالت : الله يقتص لها منك ، فإنها ما ذكرت لى شيئا ، بل كتمت أمرها حتى ماتت وهى راضية . وحين ماتت كنت عندها ، ففتحت عينيها وقالت لى : « يا امرأة عمى ، جعل الله ولدك فى حِل من دمى ، ولا آخذه بما فعل معى ، وإنما نقلنى الله من الدنيا الفانية ، إلى الآخرة الباقية » . فقلت لها : « يا بنتى سلامتك وسلامة شبابك » . وصرت أسألها عن سبب

مرضها فما تكلمت ، ثم تبسمت وقالت : يا امرأة عمى ، إذا أراد ابنك أن يذهب إلى الموضع الذى اعتاد الذهاب إليه ، فقولى له يقول هاتين الكلمتين عند انصرافه منه : « الوفاء مليح ، والغدر قبيح » . وهذه شفقة منى عليه ، لأكون شفيقة عليه فى حياتى وبعد مماتى .

ثم أعطتنى لك حاجة ، وحلفتنى أنى لا أعطيك إياها حتى أراك تبكى وتنوح . والحاجة عندى ، فإذا رأيتك على الصفة التى ذكرتها ، أعطيتك إياها .

فقلت لها : أرينى إياها .

فما رضيت : ثم إنى اشتغلت بلذاتى ، ولم أعد أفكر فى موت ابنة عمى ؛ لأنى كنت طائش العقل ، وكنت أود فى نفسى أن أكون طول ليلى ونهارى عند محبوبتى . وما صدقت أن الليل أقبل حتى مضيت إلى البستان ، فوجدت الصبية جالسة على مقالى النار ، من كثرة الانتظار . فما صدقت أنها رأتنى حتى بادرت إلى ، وتعلقت برقبتى ، وسألتنى عن بنت عمى ، فقلت لها : إنها ماتت ، وعملنا لها الذكر والختمات ، ومضى لها أربع ليال ، وهذه الخامسة .

فلما سمعت ذلك صاحت وبكت ، وقالت : أما قلت لك إنك قتلتها ؟ ولو أعلمتنى بها قبل موتها لكنت كافأتها على ما فعلت معى من معروف ، فإنها خدمتنى وأوصلتك إلى ، ولولاها ما اجتمعت بك . وأنا خائفة عليك أن تقع فى مصيبة بسبب رزيتها .

فقلت لها : إنها قد جعلتنى فى حل قبل موتها .

ثم ذكرت لها ما أخبرتنى به أمى ، فقالت : بالله عليك إذا ذهبت إلى أمك ، فاعرف الحاجة التى عندها .

فقلت لها : إن أمى قالت لى : إن ابنة عمك قبل أن تموت أوصتنى وقالت لى : إذا أراد ابنك أن يذهب إلى الموضع الذى اعتاد الذهاب إليه ، فقولى له هاتين الكلمتين : « الوفاء مليح ، والغدر قبيح » .

فلما سمعت الصبية ذلك قالت : رحمة الله عليها ، فإنها خلصتك منى ، وقد كنت أضمرت ضررك ؛ فأنا لا أضرك ولا أشوش عليك .

فتعجبت من ذلك وقلت لها : وما الذى كنت تريدين قبل ذلك أن تفعليه معى ، وقد صار بينى وبينك مودة ؟.

فقالت : أنت مولع بى ، لكنك صغير السن ، وقلبك خال من الخداع ، فأنت لا تعرف مكرنا ولا خداعنا ؛ ولو كانت على قيد الحياة لكانت معينة لك ، فإنها سبب سلامتك ونجاتك من الهلكة ، والآن أوصيك أن لا تتكلم مع واحدة ، ولا تخاطب واحدة من أمثالنا ، لا صغيرة ولا كبيرة ؛ فإياك ثم إياك ذلك ، لأنك غير عارف بخداع النساء ولا مكرهن ؛ والتى كانت تفسر لك الإشارات قد ماتت ، وإنى أخاف عليك أن تقع فى رزية ، فلا تجد من يخلصك منها بعد موت ابنة عمك .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٢١

(**فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الشاب قال لتاج الملوك : ثم إن الصبية قالت : فواحسرتاه على بنت عمك ، وليتنى علمت بها قبل موتها حتى كنت أكافئها على ما فعلت معى من المعروف . رحمة الله تعالى عليها ، فإنها كتمت سرها ، ولم تبح بما عندها ، ولولاها ما كنت تصل إلىّ أبدا . وإنى أشتهى

عليك أمرا .

فقلت : ما هو ؟

قالت : أن توصلني إلى قبرها ، حتى أزورها فى القبر الذى هى فيه ، وأكتب عليه أبياتا .

فقلت لها : فى غد إن شاء الله تعالى .

ثم إنى نمت تلك الليلة ، وهى بعد كل ساعة تقول لى : ليتك أخبرتنى بابنة عمك قبل موتها .

فقلت لها : ما معنى هاتين الكلمتين اللتين قالتهما ، وهما « الوفاء مليح ، والغدر قبيح » ؟.

فلم تجبنى .

فلما أصبح الصباح قامت ، وأخذت كيسا فيه دنانير ، وقالت لى : قم وأرنى قبرها حتى أزوره ، وأكتب عليه أبياتا ، وأعمل عليه قبة ، وأترحم عليها ، وأصرف هذه الدنانير صدقة على روحها .

فقلت لها : سمعا وطاعة .

ثم مشيت قدامها ، ومشت خلفى . وصارت تتصدق وهى ماشية فى الطريق ، وكلما تصدقت صدقة تقول : هذه الصدقة على روح عزيزة ، التى كتمت سرها حتى شربت كأس مناياها ، ولم تبح بسر هواها .

ولم تزل تتصدق من الكيس وتقول : « على روح عزيزة » . حتى وصلنا القبر ، ونفد ما فى الكيس . فلما عاينت القبر ألقت بنفسها عليه ، وبكت بكاء شديدا ، ثم إنها أخرجت بيكارا[1] من الفولاذ ، ومطرقة

---

(١) البيكار والبركار : آلة ذات ساقين لرسم الدوائر « برجل » .

لطيفة ، وخطت بالبيكار على الحجر الذى على رأس القبر خطا لطيفا ، ورسمت هذه الأبيات :

مررت بقبر دَارِسٍ وسْطَ روضة
عليه من النعمـــان سَبْــعُ شقائِــقِ
فقلت لمن ذا القبر؟ جاوبنى الثرى
تأدَّبْ فهـــذا الــقبر برزَخُ عاشِقِ!
فقـــلت رعـــاك الله يا مَيِّت الهوى
وأسكنك الفردوس أعلى الشواهق
مساكين أهل العشق حتى قبورهم
عليها تراب الـــذل بين الخلائـــق
فإن أستطع زرعا زرعـــتك روضة
وأُسقـــيتها من دَمْعِـــىَ المتدافـــق!!

ثم بكت بكاء شديدا ، وقامت وقمت معها ، وتوجهنا إلى البستان ، فقالت لى : سألتك بالله أن لا تنقطع عنى أبدا .

فقلت : سمعا وطاعة .

ثم إنى صرت أتردد عليها ، وكلما بت عندها تحسن إلى وتكرمنى ، وتسألنى عن الكلمتين اللتين قالتهما ابنة عمى عزيزة لأمى ، فأعيدهما لها . وما زالت على هذه الحال من أكل وشرب ، وضم وعناق ، وتغيير ثياب من الملابس الرقاق ، حتى غلظت وسمنت ؛ ولم يكن لى هم ولا غم ولا حزن ، ونسيت ابنة عمى ومكثت مستغرقا فى تلك اللذات سنة كاملة . وعند رأس السنة دخلت الحمام ، وأصلحت شأنى ، ولبست بذلة فاخرة ؛ ولما خرجت من الحمام شربت قدحا من الشراب ، وشممت روائح قماشى المعطر بأنواع الطيب ، وأنا خالى القلب من غدرات الزمان ، وطوارق



الحدثان . فلما جاء وقت العشاء ، اشتاقت نفسى إلى الذهاب إليها ، وأنا سكران لا أدرى أين أتوجه . فذهبت إليها ، فمال بى السكر إلى زقاق لنقيب ؛ فبينما أنا ماش فى ذلك الزقاق ، إذ بعجوز ماشية ، وفى إحدى يديها شمعة مضيئة ، وفى يدها الأخرى كتاب ملفوف .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(**فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الشاب الذى اسمه عزيز قال لتاج الملوك : فلما دخلت الزقاق الذى يقال له زقاق النقيب ، مشيت فيه : فبينما أنا ماش فى ذلك الزقاق ، إذ بعجوز ماشية ، وفى إحدى يديها شمعة مضيئة ، وفى يدها الأخرى كتاب ملفوف . فتقدمت إليها وهى باكية العين ، وتنشد هذين البيتين :

لله در مبشرى بقدومكـــــم   فلقـد أتى بلطائـف المسمـــوع
لو كان يقنـع بالخليـع وهبتـــه   قلبـــا تمزق ساعـــة التوديـــع

فلما رأتنى قالت لى : يا ولدى هل تعرف أن تقرأ ؟

فقلت لها : نعم يا خالتى العجوز .

فقالت لى : خذ هذا الكتاب واقرأه لى .

وناولتنى الكتاب ، فأخذته منها ، وفتحته وقرأته عليها ؛ ومضمونه أنه كتاب من عند الغياب ، بالسلام على الأحباب . فلمـا سمعتـه فرحت واستبشرت ، ودعت لى ، وقالت لى : فرج الله همك كما فرجت همى ..

ثم أخذت الكتاب ومشت خطوتين ، وغلبنى حصر البول فقعدت فى مكان لأريق الماء . ثم إنى قمت وتجمرت وأرخيت أثوابى ، وأردت أن أمشى ، وإذا بالعجوز قد أقبلت على ، وقبلت يدى ، وقالت لى : يا مولاى ، الله تعالى يهنئك بشبابك ولا يفضحك ، أترجاك أن تمشى معى خطوات إلى ذلك الباب ، فإنى أخبرتهم بما أسمعتنى إياه من قراءة الكتاب فلم يصدقونى ؛

فامش معى خطوتين ، واقرأ لهم الكتاب من خلف الباب ، واقبل دعائى لك .

فقلت لها : وما قصة هذا الكتاب ؟

فقالت لى : يا ولدى ، هذا كتاب جاء من عند ولدى . وهو غائب عنى مدة عشر سنين ؛ فإنه سافر بمتجر ، ومكث فى الغربة تلك المدة ، فقطعنا الرجاء منه ، وظننا أنه مات .. ثم وصل إلينا منه هذا الكتاب ، وله أخت تبكى عليه فى مدة غيابه آناء الليل وأطراف النهار ، فقلت لها : « إنه طيب بخير » . فلم تصدقنى ، وقالت لى : « لا بد أن تأتينى بمن قرأ هذا الكتاب ، فيخبرنى ، حتى يطمئن قلبى ، ويطيب خاطرى » . وأنت تعلم يا ولدى أن المحب مولع بسوء الظن ؛ فأنعم على بقراءة هذا الكتاب وأنت واقف خلف الستارة ، وأخته تسمع من داخل الباب ، لأجل أن يحصل لك ثواب من قضى لمسلم حاجة ، ونفَّس عنه كربة ؛ فقد قال رسول الله ﷺ : « من نفَّس عن مكروب كربة من كرب الدنيا ، نفَّس الله عنه اثنتين وسبعين كربة من كرب يوم القيامة » . وأنا قصدتك فلا تخيبنى .

فقلت لها : سمعا وطاعة .

وتقدمت فمشت قدامى ، ومشيت خلفها قليلا ، حتى وصلت إلى باب دار عظيمة ، وذلك الباب مصفح بالنحاس الأحمر . فوقفت خلف الباب ، وصاحت العجوز بالعجمية ، فما أشعر إلا وصبية قد أقبلت بخفة ونشاط ، وهى مشمرة قميصها إلى ركبتيها ، فرأيت لها ساقين يحيران الفكر والناظر ، وهى كما قال فى وصفها الشاعر :

يا من يشمر عن ساق ليعرضه
على المحبين حتى يفهم الباقى

وطاف يسعى بكأس نحو عاشقة
ما أفتن الناس غير الكأس والساق

وزان ساقيها اللتين كأنهما عمودان من مرمر ، خلاخل الذهب المرصعة بالجوهر ؛ وكانت الصبية مشمرة ثيابها إلى تحت إبطيها ، ومشمرة عن ذراعيها ، فنظرت معاصمها البيض ، وفى يدها زوجان من أساور ، وفى أذنيها قرطان من اللؤلؤ ، وفى عنقها عقد من ثمين الجواهر ، وعلى رأسها كوفية دق المطرقة مكللة بالفصوص الثمينة . وقد بدت بهيئتها هذه كأنها كانت تقوم بعمل ؛ فلما رأتنى قالت بلسان فصيح عذب ما سمعت أحلى منه : يا أمى ، أهذا الذى جاء يقرأ الكتاب ؟



فقالت لها ، نعم .

فمدت يدها إلى الكتاب ، وكان بينها وبين الباب نحو نصف قصبة ؛ فمددت يدى لأتناول الكتاب ؛ وأدخلت رأسى وأكتافى من الباب لأقرب

منها ، فما أدرى إلا والعجوز قد وضعت رأسها فى ظهرى ودفعتنى ، ويدى ماسكة الباب ، فالتفت فرأيت نفسى فى وسط الدار من داخل الدهليز . ودخلت العجوز أسرع من البرق الخاطف ، ولم يكن لها شغل إلا إقفال الباب .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٢٣

(**فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الشاب قال لتاج الملوك : ثم أن الصبية لما رأتنى من داخل الباب بالدهليز ، أقبلت على ، وضمتنى إلى صدرها . ثم أخذتنى بيدها ، ولم أقدر أن أتخلص منها ؛ ثم دخلت بى ، ودخلت العجوز قدامها والشمعة مضيئة معها ، حتى قطعت سبع دهاليز . وبعد ذلك دخلت قاعة كبيرة بأربعة إيوانات ، يلعب فيها الخيال بالأكر ؛ ثم أجلستنى وقالت لى : انظر .

فرأيت جميع بناء القاعة من أبهج المرمر ، وجميع فرشها من الديباج ، وكذلك المخدات والمراتب ، وهناك مقعد من النحاس الأصفر ، وسرير من الذهب الأحمر ، مرصع بالدر والجوهر ، لا يصلح إلا للملك . ثم قالت لى : يا عزيز ، أى الحالتين أحب إليك : الموت أم الحياة ؟

فقلت لها : الحياة .

قالت : إذا كانت الحياة أحب إليك . فتزوج بى .

فقلت لها : أنا أكره أن أتزوج بمثلك .

فقالت لى : إن تزوجت بى تسلم من بنت الدليلة المحتالة .

فقلت لها : من هى بنت الدليلة المحتالة ؟

فضحكت وقالت : كيف لا تعرفها ، وأنت لك فى صحبتها إلى اليوم سنة وأربعة أشهر ، أهلكها الله تعالى ! والله ما يوجد أمكر منها ، وكم قتلت شخصا قبلك ! وكم عملت عملة ! وكيف سلمت منها ولم تقتلك أو تشوش عليك ، ولك فى صحبتها هذه المدة ؟

فلما سمعت كلامها تعجبت غاية العجب ، فقلت لها : يا سيدتى ، ومن عرفك بها ؟

فقالت : أنا أعرفها مثل ما يعرف الزمان مصائبه ؛ لكن قصدى أن تحكى لى بجميع ما وقع لك معها ، حتى أعرف ما سبب سلامتك منها .

فحكيت لها ما جرى لى معها ومع ابنة عمى عزيزة ؛ فترحمت عليها ، ودمعت عيناها ، ودقت يدا على يد لما سمعت بموت ابنة عمى عزيزة ، وقالت : عوضك الله عنها خيرا يا عزيز ، فإنها هى سبب سلامتك من بنت الدليلة المحتالة ، ولولاها لكنت هلكت . وأنا خائفة عليك من مكرها وشرها ، ولكن ما أقدر أن أتكلم .

فقلت لها : والله إن ذلك كله قد حصل .

فهزت رأسها وقالت : لا يوجد اليوم مثل عزيزة .

فقلت : وعند موتها أوصتنى أن أقول هاتين الكلمتين لا غير ، وهما : « الوفاء مليح ، والغدر قبيح » .

فلما سمعت ذلك منى قالت : يا عزيز ، والله إن هاتين الكلمتين هما اللتان خلصتاك منها ، وبسببهما ما قتلتك ؛ فقد خلصتك بنت عمك حية وميتة . والله إنى كنت أتمنى الاجتماع بك ولو يوما واحدا ، فلم أقدر على ذلك إلا فى هذا الوقت ، بعد أن تحايلت عليك بهذه الحيلة ، وقد تمت . وأنت الآن صغير ، لا تعرف مكر النساء ، ولا دواهى العجائز .

فقلت لها : لا والله .

فقالت لى : طب نفسا ، وقر عينا ، فإن الميت مرحوم ، والحي ملطوف به . وأنت شاب مليح ، وأنا ما أريدك إلا بسنة الله ورسوله ﷺ . ومهما أردت من مال وقماش يحضر لك سريعا ، ولا أكلفك بشيء أبدا . وأيضا عندى دائما الخبز مخبوز ، والماء فى الكوز .

ثم إنها صفقت بيدها وقالت : يا أمى ، أحضرى من عندك .

وإذا بالعجوز قد أقبلت بأربعة شهود عدول . ثم إنها أوقدت أربع شمعات ؛ فلما دخل الشهود سلموا على وجلسوا ، فقامت الصبية وأرخت عليها إزارا ، ووكلت بعضهم فى ولاية عقدها . وقد كتبوا الكتاب ، وأشهدت على نفسها أنها قبضت جميع المهر مقدما ومؤخرا ، وأن فى ذمتها لى عشرة آلاف درهم .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٢٤

(**فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الشاب قال لتاج الملوك : ثم إنها أعطت الشهود أجرتهم وانصرفوا من حيث أتوا ، فعند ذلك قامت الصبية ، وأتت فى قميص رفيع مطرز بطراز من الذهب ، وأخذت بيدى إلى السرير . ثم نمنا إلى الصباح ، وأردت أن أخرج ، وإذا هى أقبلت على ضاحكة وقالت : هل تحسب أن دخول الحمام مثل خروجه ؟ وما أظن إلا أنك تحسبنى مثل بنت الدليلة المحتالة ؟ إياك وهذا الظن ، فما أنت إلا زوجى بالكتاب والسنة . وإن كنت سكران فأفق لعقلك ؛ إن هذه الدار التى أنت فيها ما تفتح إلا فى كل سنة

يوما . قم إلى الباب الكبير وانظره .

فقمت إلى الباب الكبير ، فوجدته مغلقا مسمرا ؛ فعدت وأعلمتها بأنه مغلق مسمر ، فقالت لى : يا عزيز ، إن عندنا من الدقيق والحبوب والفواكه والرمان والسكر واللحم والغنم والدجاج وغير ذلك ، ما يكفينا أعواما عديدة ، ولا يفتح بابنا من هذه الليلة إلا بعد سنة .

فقلت : لا حول ولا قوة إلا بالله .

فقالت : وأى شيء يضرك ؟

ثم ضحكت ، فضحكت أنا وطاوعتها فيما قالت ، ومكثت عندها اثنى عشر شهرا ؛ فلما أكملت السنة رزقت منها ولدا . وعند رأس السنة سمعت فتح الباب ، وإذا بالرجال دخلوا بكعك ودقيق وسكر ، فأردت أن أخرج فقالت : اصبر إلى وقت العشاء ، ومثل ما دخلت فاخرج .

فصبرت إلى وقت العشاء ، وأردت أن أخرج ، وأنا خائف مرجوف ؛ وإذا هى قالت : والله ما أدعك تخرج حتى أحلفك أن تعود فى هذه الليلة ، قبل أن يغلق الباب .

فأجبتها إلى ذلك ، وحلفتنى بالأيمان الوثيقة على السيف والمصحف وبالطلاق ، أنى أعود إليها .

ثم خرجت من عندها ، ومضيت إلى البستان ، فوجدته مفتوحا كعادته . فاغتظت وقلت فى نفسى : إنى غائب عن هذا المكان سنة كاملة ، والآن جئت على غفلة فوجدته مفتوحا . يا ترى هل الصبية باقية على حالها أولا ؟ لا بد أن أدخل وأنظر قبل أن أروح إلى أمى ، وأنا الآن فى وقت العشاء .

ثم دخلت البستان .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(**فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن عزيزا قال لتاج الملوك : ثم دخلت البستان ، ومشيت حتى أتيت إلى المقعد ، فوجدت بنت الدليلة المحتالة جالسة ، ورأسها على ركبتها ، ويدها على خدها ، وقد تغير لونها ، وغارت عيناها . فلما رأتنى قالت : الحمد لله على السلامة .

وهمت أن تقوم ، فوقعت من فرحتها ؛ فاستحييت منها ، وطأطأت رأسى . ثم تقدمت إليها وقبلتها وقلت لها : كيف عرفت أنى أجيء إليك فى هذه الساعة ؟

قالت : لا علم لى بذلك . والله إن لى سنة لم أذق فيها نوما ، بل أسهر كل ليلة فى انتظارك . وأنا على هذه الحال ، من يوم خرجت من عندى ، وأعطيتك البذلة القماش الجديدة ، ووعدتنى أنك تجيء إلى . وقد انتظرتك فما أتيت أول ليلة ولا ثانى ليلة ولا ثالث ليلة ، فاستمررت منتظرة مجيئك ، والعاشق هكذا يكون ؛ وأريد أن تحكى لى ما سبب غيابك عنى هذه السنة .

فحكيت لها ، فلما علمت أنى تزوجت اصفر لونها ، ثم قلت لها : إنى أتيتك هذه الليلة ، وأروح قبل الصباح ؟ .

فقالت : أما كفاها أنها تزوجت بك ، وعملت عليك حيلة ، وحبستك عندها سنة كاملة ، حتى حلفتك بالطلاق أن تعود إليها قبل الصباح ، ولم تسمح لك بأن تتفسح عند أمك ولا عندى ، ولم يهن عليها أن تبيت عند إحدانا ليلة واحدة ؟ فكيف حال من غبت عنها سنة كاملة وقد عرفتك

قبلها؟ ولكن رحم الله عزيزة، فإنها جرى لها ما لم يجر لأحد، وصبرت على شيء لم يصبر عليه مثلها، وماتت مقهورة منك، وهي التي حمتك مني. وكنت أظنك تجيء فأطلقت سبيلك، مع أني كنت أقدر على حبسك وعلى هلاكك.

ثم بكت واغتاظت ونظرت إلي بعين الغضب، فلما رأيتها على تلك الحال ارتعدت فرائصي، وخفت منها، وصرت مثل الفولة على النار. ثم قالت: ما بقيت فيك فائدة بعد ما تزوجت وصار لك ولد، فأنت لا تصلح لعشرتي، وقد بعتني بتلك العاهرة، والله لأحسرنها عليك، وتصير لا لي ولا لها؟

ثم صاحت، فما أدرى إلا وعشر جوار أتين ورمينني على الأرض. فلما وقعت تحت أيديهن، قامت هي وأخذت سكينا وقالت: لأذبحنك ذبح التيوس، ويكون هذا أقل جزائك على ما فعلت مع ابنة عمك؟



فلما نظرت إلى نفسي وأنا تحت جواريها، وتعفر خدى بالتراب، ورأيت السكين في يدها، تحققت الموت.

وأدرك شهر زاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

(**فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد المائة**) قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الشاب عزيز قال لتاج الملوك : ثم استغثت بها فلم تزدد إلا قسوة ، وأمرتهن أن يكتفنني ، فكتفنني ورمينني على ظهري ، وجلسن على بطني وأمسكن رأسي . وقامت جاريتان فأمسكتا أصابع رجلي ، وجاريتان جلستا على قصبتي رجلي . وبعد ذلك قامت هي ومعها جاريتان ، فأمرتهما أن تضرباني ، فضربتاني حتى أغمي علي ، وخفي صوتي . فلما استفقت قلت في نفسي : « إن موتي مذبوحا أهون علي من هذا الضرب » . وتذكرت كلمة ابنة عمي حيث قالت : « كفاك الله شرها » . فصرخت وبكيت حتى انقطع صوتي . ثم سنّت السكين وقالت للجواري : اكشفن عنه .

فألهمني الله أن أقول الكلمتين اللتين أوصتني بهما ابنة عمي ، وهما : « الوفاء مليح ، والغدر قبيح » .

فلما سمعت ذلك صاحت وقالت : يرحمك الله يا عزيزة ، سلامة شبابك ! نفعت ابن عمك في حياتك وبعد موتك .

ثم قالت لي : والله إنك خلصت من يدي بسبب هاتين الكلمتين . لكن لا بد أن أعمل فيك أثرا ، نكاية في تلك العاهرة التي حجبتك عني .

ثم صاحت على الجواري وقالت لهن : اركبن عليه .

وأمرتهن أن يربطن رجلي بالحبال ، ففعلن ذلك . ثم قامت من عندي وركّبَتْ طاجنا من نحاس على النار ، وصبت فيه سيرجا ، وقلَتْ فيه جبنا ، وأنا غائب عن الدنيا . ثم رفعت يدها بموسي وخصتني ، ثم كوت موضع

القطع ، وكبسته بذرور وأنا مغمى على . فلما أفقت كان الدم قد انقطع ، فأسقتني قدحا من الشراب ، ثم قالت لى : رح الآن لمن تزوجت بها ، وبخلت عليَّ بليلة واحدة . رحم الله ابنة عمك التي هي سبب نجاتك ، ولولا أنك أسمعتني كلمتيها لكنت ذبحتك . فاذهب فى هذه الساعة لمن تشتهى . وأنا الآن ما بقى لى فيك رغبة ، ولا حاجة لى بك ، فقم وترحم على ابنة عمك .

ثم رفستنى برجلها ، فقمت وما قدرت أن أمشى . فمشيت قليلا قليلا ، حتى وصلت إلى باب زوجتى ، فوجدته مفتوحا ، فرميت نفسى فيه ، وأنا غائب عن الوجود . وإذا بزوجتى خرجت وحملتنى وأدخلتنى القاعة ، فوجدتنى مثل المرأة . فنمت واستغرقت فى النوم ، فلما صحوت وجدت نفسى مرميا على باب البستان .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٢٧

(**فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الشاب عزيز قال لتاج الملوك : فلما صحوت وجدت نفسى مرميا على باب البستان ، فقمت وأنا أتضجر ، ومشيت حتى أتيت منزلى ، فدخلت فيه ، فوجدت أمى تبكى عليَّ وتقول : يا ترى يا ولدى فى أى أرض أنت ؟

فدنوت منها ، ورميت نفسى عليها . فلما نظرت إليَّ ورأتنى ، وجدتنى على غير استواء ، وصار على وجهى الاصفرار والسواد . ثم تذكرت ابنة عمى وما فعلت معى من المعروف ، وتحققت أنها كانت تحبنى ، فبكيت

عليها ، وبكت أمي ثم قالت لى : يا ولدى إن والدك قد مات .

فازددت غيظا ، وبكيت حتى أغمى على . فلما أفقت نظرت إلى موضع ابنة عمى الذى كانت تقعد فيه ، فبكيت ثانيا حتى أغمى على من شدة البكاء . وما زلت فى بكاء ونحيب إلى نصف الليل ، فقالت لى أمى : إن لوالدك عشرة أيام وهو ميت .

فقلت لها : أنا لا أفكر فى أحد أبدا غير ابنة عمى ، لأنى أستحق ما حصل لى ، حيث أهملتها وهى تحبنى .

فقالت : وما حصل لك ؟

فحكيت لها ما حصل لى : فبكت ساعة . ثم قامت وأحضرت لى شيئا من المأكول ، فأكلت قليلا وشربت ، وأعدت لها قصتى ، وأخبرتها بجميع ما وقع لى ، فقالت لى : الحمد لله حيث جرى لك هذا وما ذبحتك .

ثم إنها عالجتنى وداوتنى حتى برئت وتكاملت عافيتى ، فقالت لى : يا ولدى ، الآن أُخْرِجُ لك الوديعة التى أودعتها عندى ابنة عمك ، فإنها لك ، وقد حلفتنى أن لا أخرجها لك حتى أراك تتذكرها وتحزن عليها ، وتقطع علائقك من غيرها ؛ والآن وجدت فيك هذه الخصال .

ثم قامت وفتحت صندوقا ، وأخرجت منه هذه الخرقة التى فيها صورة الغزال ، وهى التى وهبتها لها أولا . فلما أخذتها وجدت مكتوبا فيها هذه الأبيات :

أقسمتم فؤادى فى الهوى وقصدتمو
وأسهرتمو جفنى القريح ونمتمو

وقد حُلْتمو بين الفؤاد وناظرى
فلا القلب يسلوكم ولو ذاب منكم

وعاهـــدتمونى أنكـــــم كاتمو الهوى
فأغراكُمُ الـــواشى وقـــال وقلتـــمْ
فبـــالله إخـــوانى إذا مت فاكتبـــوا
على لوح قبرى : إن هذا متيَّـــــمُ

فلما قرأت هذه الأبيات بكيت بكاء شديدا ، ولطمت على وجهى ، وفتحت الرقعة ، فوقعت منها ورقة أخرى ، ففتحتها ، فإذا مكتوب فيها : « اعلم يا ابن عمى أنى جعلتك فى حلٍ من دمى ، وأرجو الله أن يوفق بينك وبين من تحب . لكن إذا أصابك شىء من الدليلة المحتالة ، فلا ترجع إليها ولا لغيرها ؛ وبعد ذلك فاصبر علىْ بليتك . ولولا أجلك المحتم لهلكت من الزمان الماضى ؛ ولكن الحمد لله الذى جعل يومى قبل يومك . وسلامى عليك . واحتفظ بهذه الخرقة التى فيها صورة الغزال ، ولا تفرط فيها ، فإن تلك الصورة كانت تؤانسنى إذا غبت عنى .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٢٨

(**فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الشاب عزيزا قال لتاج الملوك : إن ابنة عمى قالت لى : إن قدرت على من رسمت هذه الصورة ، ينبغى أنك تتباعد عن الدليلة المحتالة ، ولا تجعلها تقرب منك ، ولا تتزوج بها . وإن لم تقدر عليها ، ولم تجد لك سبيلا إليها ، فلا تقرب واحدة من النساء بعدها . واعلم أن التى رسمت هذه الصورة ، ترسم فى كل سنة صورة مثلها ، وترسلها إلى أقصى البلاد ، لأجل أن يشيع خبرها ، وحسن صنعتها التى يعجز عنها أهل الأرض .

وأما محبوبتك الدليلة المحتالة ، فإنها لما وصلت إليها هذه الخرقة التى فيها صورة الغزال ، صارت تريها للناس وتقول لهم : « إن لى أختا تصنع هذا » . مع أنها كاذبة فى قولها ، هتك الله سترها ! وما أوصيتك بهذه الوصية إلا لأننى أعلم أن الدنيا تضيق عليك بعد موتى ، وربما تتغرب بسبب ذلك ، وتطوف فى البلاد ، وتسمع بصاحبة هذه الصورة فتتشوق نفسك إلى معرفتها . فاعلم أن الصبية التى رسمت هذه الصورة ، هى بنت ملك جزائر الكافور .

فلما قرأت تلك الورقة وفهمت ما فيها ، بكيت وبكت أمى لبكائى ؛ وما زلت أنظر إليها وأبكى إلى أن أقبل الليل . ولم أزل على تلك الحال مدة سنة ، وبعد السنة تجهز تجار من مدينتى إلى السفر — وهم هؤلاء الذين أنا معهم فى القافلة — فأشارت علىَّ أمى أن أسافر معهم ، وقالت لى : لعل السفر يذهب ما بك من هذا الحزن ، وتغيب سنة أو سنتين أو ثلاثا ، حتى تعود القافلة ، فلعل صدرك ينشرح .

وما زالت تلاطفنى بالكلام ، حتى جهزت متجرا وسافرت معهم ، وأنا لم تجف لى دمعة مدة سفرى . وفى كل منزلة ننزل بها أنشر هذه الخرقة قدامى ، وأنظر إلى هذه الصورة ، فأتذكر ابنة عمى ، وأبكى عليها كما ترانى ؛ فإنها كانت تحبنى محبة زائدة ، وقد ماتت مقهورة منى ، وما فعلت معها إلا الضرر ، مع أنها لم تفعل معى إلا الخير . ومتى رجع التجار من سفرهم أرجع معهم ، وتكمل مدة غيابى سنة ، وأنا فى حزن زائد .

وما زاد همى إلا لأننى جزت على جزائر الكافور ، وقلعة البلور ، وهى سبع جزائر ، والحاكم عليهم ملك يقال له « شهرمان » ، وله بنت يقال لها « دنيا » ، وقد قيل لى : إنها هى التى ترسم صور الغزلان ، وهذه الصورة التى معك من جملة تصويرها . فلما علمت ذلك زادت بى الأشواق ،

وغرقت فى بحر الفكر والاحتراق ، فبكيت على نفسى لأنى بقيت مثل المرأة ولا حيلة لى . ومن يوم فراق لجزائر الكافور ، وأنا باكى العين حزين القلب ، ولى مدة على هذه الحال . وما أدرى هل يمكننى أن أرجع إلى بلدى وأموت عند والدتى أولا ، وقد شبعت من الدنيا .

ثم بكى ، وأن واشتكى ، ونظر إلى صورة الغزال ، وجرى دمعه على خده وسال ، وأنشد هذين البيتين :

وقائـــــل قال لى : لا بد من فرج
فقـــلت للغيـــظ : كم لا بد من فرج
فقال لى : بعد حين ، قلت يا عجبى
من يضمن العمر لى يا بارد الحجج ؟

وهذه حكايتى أيها الملك .

فلما سمع تاج الملوك قصة الشاب ، تعجب غاية العجب ، وانطلقت فى فؤاده النيران ، حين سمع بجمال السيدة دنيا .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٢٩

(**فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن تاج الملوك قال للشاب : والله لقد جرى لك شىء ما جرى لأحد مثله ؛ ولكن هذا تقدير ربك ، وقصدى أن أسألك عن شىء .

فقال عزيز : وما هو ؟

فقال : تصف لى كيف رأيت الصبية التى رسمت صورة الغزال ؟

فقال : يا مولاى : إنى توصلت إليها بحيلة ؛ وهى أنى لما دخلت مع

القافلة إلى بلادها، كنت أخرج وأدور فى البساتين، وهى كثيرة الأشجار، وحارس البساتين شيخ طاعن فى السن، فقلت له: « يا شيخ لمن هذه البساتين؟ ». فقال لى: « لابنة الملك السيدة دنيا، ونحن تحت قصرها؛ فإذا أردت أن تتفرج فافتح باب السر وتفرج فى البستان، فتشم رائحة الأزهار ». فقلت لها: « أنعم على بأن أقعد فى هذا البستان حتى تمر، لعلى أحظى منها بنظرة ». فقال الشيخ: « لا بأس فى ذلك ».

فلما قال ذلك أعطيته بعض الدراهم، وقلت له: اشتر لنا شيئا نأكله.

ففرح بأخذ الدراهم، وفتح الباب، وأدخلنى معه؛ وسرنا، وما زلنا سائرين، إلى أن وصلنا إلى مكان لطيف، وأحضر لى شيئا من الفواكه اللطيفة، وقال لى اجلس هنا حتى أذهب وأعود إليك.

وتركنى ومضى، فغاب ساعة ثم رجع، ومعه خروف مشوى، فأكلنا حتى اكتفينا، وقلبى مشتاق إلى رؤية الصبية. فبينما نحن جالسون، إذ بالباب قد انفتح، فقال لى: « قم اختف ». فقمت واختفيت، وإذا بطواشى أسود أخرج رأسه وقال: يا شيخ، هل عندك أحد؟

فقال: لا.

فقال له: أغلق الباب.

فأغلق الشيخ باب البستان، وإذا بالسيدة دنيا طلعت من الباب، وسارت فى البستان. فلما رأيتها ظننت أن القمر نزل فى الأرض، فاندهش عقلى، وصرت مشتاقا إليها كاشتياق الظمآن إلى الماء. وبعد ساعة عادت وأغلقت الباب؛ فعند ذلك خرجت أنا من البستان، وقصدت إلى الموضع الذى كنت أقيم فيه، وعرفت أنى لا أصل إليها، ولا أنا من رجالها، لأنى صرت مثل المرأة. كما قلت لى نفسى: إن هذه ابنة ملك، وأنا رجل تاجر،

فمن أين لى أن أصل إليها ؟

فلما تجهز أصحابى للرحيل ، تجهزت أنا وسافرت معهم وهم قاصدون هذه المدينة ، فلما وصلنا إلى هذا الطريق اجتمعنا بك ، وهذه حكايتى وما جرى لى والسلام .



فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام ، اشتعل قلبه بحب السيدة دنيا . ثم ركب جواده ، وأخذ معه عزيزا ، وتوجه به إلى مدينة أبيه ، وأفرد له دارا ، ووضع له فيها كل ما يحتاج إليه . ثم تركه ومضى إلى قصره ، ودموعه جارية

على خدوده ، لأن السماع يحل محل النظر والاجتماع . وما زال تاج الملوك على تلك الحال حتى جاء أبوه ، فوجده متغير اللون ، فعلم أنه مهموم ومغموم ، فقال له : يا ولدى ، أخبرنى عن حالك وما جرى لك .

فأخبره بجميع ما جرى له من قصة دنيا من أولها إلى آخرها ، وكيف عشقها على السماع ، ولم ينظرها بالعين . فقال له والده : يا ولدى ، إن أباها ملك وبلاده بعيدة عنا ، فدع عنك هذا وادخل قصر أمك ..

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٣٠

(**فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن والد تاج الملوك قال له : يا ولدى دع عنك هذا ، وادخل قصر أمك ، فإن فيه خمسمائة جارية كالأقمار ، فمن أعجبتك منهن فخذها ، وإن لم تعجبك جارية منهن نخطب لك بنتا من بنات الملوك ، تكون أحسن من السيدة دنيا .

فقال له : يا والدى ، لا أريد غيرها ، وهى التى رسمت صورة الغزال التى رأيتها ، فلا بد منها وإلا فإنى أهيم فى البرارى ، وأقتل نفسى بسببها .

فقال له أبوه : يا ولدى أمهلنى حتى أرسل إلى أبيها ، وأخطبها منه وأبلغك المرام ، مثل ما فعلت لنفسى مع أمك ؛ وإن لم يرض زلزلت عليه مملكته ، وجردت عليه جيشا يكون آخره عندى وأوله عنده .

ثم دعا بالشاب عزيز وقال له : يا ولدى هل تعرف الطريق ؟

قال : نعم .

قال له : أشتهى منك أن تسافر مع وزيرى .

فقال له عزيز : سمعا وطاعة يا ملك الزمان .

ثم أحضر وزيره وقال له : دبر لى أمر ولدى كما تعرف ، واذهب إلى جزائر الكافور واخطب بنت ملكها .

فأجابه الوزير بالسمع والطاعة . ثم عاد تاج الملوك إلى منزله وقد زادت به الأمراض والحسرات ، وحين جن عليه الليل أنشد هذه الأبيات :

جَنَّ الظـلام ودمعـى زائـد المددِ
والوجه من شدة النيران فى كَبَدِ(١)

سلوا الليـالى عنـى وهـى تخبركم
إن كان يُرثَى لقلب فى الهوى كمدِ

أبيت أرعى نجوم الليـل فى سهـر
والدمـع منهمـل فى الخد كالبَرَد

وقد بقيت وحيدا ليس لى أحـد
كمثـل صبٍّ بلا أهـل ولا ولـد

فلما فرغ من شعره وقع مغشيا عليه ، ولم يفق إلا وقت الصباح . فلما أصبح الصباح جاء إليه أبوه فرآه قد تغير لونه ، وزاد اصفراره ، فصبره ووعده بجمع شمله . ثم جهز عزيزا مع وزيره وبعض أتباعه وأعطاهم الهدايا ، فسافروا أياما وليالى ، إلى أن أشرفوا على جزائر الكافور ، فأقاموا على شاطئ نهر ؛ وأنفذ الوزير رسولا من عنده إلى الملك ليخبره بقدومهم .

---

(١) الكبَد : المشقة والشدة .

وبعد ذهاب الرسول بنصف يوم، لم يشعروا إلا وحجاب الملك وأمراؤه قد أقبلوا عليهم، ولاقوهم من مسيرة فرسخ؛ فتلقوهم وساروا في خدمتهم إلى أن دخلوا بهم على الملك، فقدموا له الهدايا، وأقاموا عنده أربعة أيام. وفي اليوم الخامس قام الوزير ودخل على الملك، ووقف بين يديه، وحدثه بحديثه، وأخبره بسبب مجيئه؛ فصار الملك متحيرا في رد الجواب، لأن ابنته لا تحب الزواج. وأطرق برأسه إلى الأرض ساعة، ثم رفع رأسه إلى بعض الخدم وقال له: اذهب إلى سيدتك دنيا، وأخبرها بما سمعت، وبما جاء به هذا الوزير.

فقام الخادم وغاب ساعة، ثم عاد إلى الملك وقال له: يا ملك الزمان، إني لما دخلت على السيدة دنيا أخبرتها بما سمعت، فغضبت غضبا شديدا، ونهضت إليَّ بعصا، وأرادت كسر رأسي، ففررت منها هاربا. وقالت لي: إن كان أبي يغصبني على الزواج، فالذي أتزوج به أقتله وأقتل نفسي.

فقال أبوها للوزير وعزيز: سلما على الملك، وأخبراه بذلك، وأن ابنتي لا تحب الزواج.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

١٣١

(**فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد المائة**) قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك شهرمان لما قال للوزير وعزيز ذلك الكلام، رجع الوزير ومن معه من غير فائدة، وما زالوا مسافرين إلى أن دخلوا على الملك وأخبروه. فعند ذلك أمر النقباء أن ينبهوا العسكر إلى السفر من أجل الحرب والجهاد، فقال له الوزير: لا تفعل ذلك، فإن الملك لا ذنب له،

وإنما الامتناع من ابنته ، فإنها حين علمت بذلك أرسلت تقول : إن غصبني أبي على الزواج ، أقتل من أتزوج به ، وأقتل نفسي بعده .

فلما سمع الملك كلام الوزير ، خاف على ولده تاج الملوك ، وقال : إن حاربت أباها وظفرت بابنته ، قتلت نفسها .

ثم إن الملك أعلم ابنه تاج الملوك بحقيقة الأمر . فلما علم بذلك قال لأبيه : يا والدي ، أنا لا أطيق الصبر عنها ، فأنا أروح إليها ، وأتسبب في اتصالي بها ولو أموت ، ولا أفعل غير هذا .

فقال له أبوه : وكيف تروح ؟

فقال : أروح في صفة تاجر .

فقال الملك : إن كان ولا بد ، فخذ معك الوزير وعزيزا .

ثم إنه أخرج شيئا من خزانته ، وهيأ له متجرا بمائة ألف دينار . فلما جاء الليل . ذهب تاج الملوك وعزيز إلى منزل الوزير ، وباتا هناك تلك الليلة ، وصار تاج الملوك مسلوب الفؤاد ، ولم يطب له أكل ولا رقاد ، وهجمت عليه الأفكار ، وغرق منها في بحار ، وهزه الشوق إلى محبوبته ، فأفاض دمع العين ، وأنشد هذين البيتين :

ترى هل لنا بعد البعاد وصول
فأشكو إليكم صبوتي وأقول
تذكَّرتُكم والليل ناءٍ صباحُه
وأسهرتموني والأنام غُفُولُ

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديدا ، وبكى معه عزيز ، وتذكر ابنة عمه ، وما زالا يبكيان إلى أن أصبح الصباح . ثم قام تاج الملوك ودخل على والدته ، وهو لابس أهبة السفر ، فسألته عن حاله ، فأخبرها بحقيقة الأمر ، فأعطته خمسين ألف دينار ، ثم ودعته وخرج من عندها بعد أن دعت له

بالسلامة ، والاجتماع بالأحباب . ثم دخل على والده واستأذنه أن يرحل ، فأذن له وأعطاه خمسين ألف دينار ، وأمر أن تضرب له خيمة عظيمة ؛ وأقاموا فيها يومين ، ثم سافروا ، واستأنس تاج بعزيز ، وقال له : يا أخي ، أنا ما بقيت أطيق أن أفارقك .

فقال عزيز : وأنا كذلك ، ولكن يا أخي قلبي اشتغل بوالدتي .

فقال له تاج الملوك : حينما نبلغ المرام لا يكون إلا خير .

وكان الوزير قد وصى تاج الملوك بالاصطبار ، وصار عزيز ينشد له الأشعار ، ويحدثه بالتواريخ والأخبار . ولم يزالوا سائرين بالليل والنهار مدة شهرين ، فطالت الطريق على تاج الملوك ، واشتد عليه الغرام ، وزاد به الوجد والهيام . فلما قربوا من المدينة فرح تاج الملوك غاية الفرح ، وزال عنه الهم والترح . ثم دخلوا وهم في هيئة التجار ، وابن الملك في زي تاجر . ثم أتوا إلى مكان يعرف بمنزل التجار ، وهو خان عظيم ، فقال تاج الملوك لعزيز : أهذا منزل التجار ؟

قال عزيز : نعم ، ولكنه غير الخان الذي كنت نزلت فيه أنا والقافلة التي كنت معها ، إلا أن هذا المكان أحسن منه .

فأناخوا فيه مطيهم ، وحطوا رحالهم ، وخزنوا أمتعتهم في المخازن ، وأقاموا للراحة أربعة أيام . ثم إن الوزير أشار عليهم أن يكتروا لهم دارا كبيرة ، فأجابوه واكتروا لهم دارا متسعة معدة للأفراح ، فنزلوا فيها . وأقام الوزير وعزيز يدبران حيلة من أجل تاج الملوك ، وصار تاج الملوك متحيرا لا يدري ماذا يفعل ، ولم يجد له حيلة .

ثم إن الوزير أقبل على تاج الملوك وعزيز وقال لهما : اعلما أنه إن كان مقامنا على هذه الحال ، فإننا لا نبلغ مرادنا ، ولا يحصل مطلوبنا ، وقد خطر ببالي شيء ، ولعله فيه الصلاح إن شاء الله تعالى .



فقال له تاج الملوك وعزيز : افعل ما بدا لك ، فإن الشيوخ فيهم البركة ، لا سيما أنك قد مارست الأمور ، فأشر علينا بما خطر ببالك .

فقال لتاج الملوك : الرأى عندى أننا نشترى لك دكانا فى سوق البزّ (١) ، وتقعد فيه للبيع والشراء ، لأن كل واحد من الخاص والعام يحتاج إلى البز . وإذا قعدت فى ذلك الدكان ينصلح أمرك إن شاء الله تعالى ، وبخاصة أن صورتك جميلة . ولكن اجعل عزيزا أمينا عندك ، واجعله فى داخل الدكان ليناولك الأقمشة .

فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام قال : إن هذا رأى سديد .

(١) البُز : الحرير .

فعند ذلك أخرج تاج الملوك بذلة تجارية ، ولبسها ، وقام يمشي وغلمانه خلفه ؛ وأعطى لأحدهم ألف دينار معه ليقضي بها مصالح الدكان ، وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى سوق البز . فلما رأى التجار تاج الملوك وشاهدوا حسنه وجماله ، تحيرت عقولهم ، وصاروا يقولون : هل فتح رضوان أبواب الجنة ، وسها عنها ، فخرج هذا الشاب البديع الحسن؟! وبعضهم يقول : لعل هذا من الملائكة .

فلما دخلوا عند التجار ، سألوا عن دكان شيخ السوق ، فدلوهم عليه ، فتوجهوا إليه . فلما قربوا قام إليهم هو ومن معه من التجار ، وعظموهم وبخاصة الوزير الأجل ، فإنهم رأوه رجلا كبيرا مهوبا ، ومعه تاج الملوك وعزيز . فقال التجار بعضهم لبعض . لا شك أن هذا الشيخ والد هذين الغلامين .

فقال الوزير : من شيخ السوق فيكم؟

فقالوا : ها هو ذا .

فنظر إليه الوزير وتأمله ، فرآه رجلا كبيرا ، صاحب هيبة ووقار ، وخدم وغلمان . ثم إن شيخ السوق حياهم تحية الأحباب ، وبالغ فى إكرامهم ، وأجلسهم جنبه ، وقال لهم : هل لكم حاجة نفوز بقضائها ؟

فقال الوزير : إنى رجل كبير طاعن فى السن ، ومعى هذان الغلامان ، وسافرت بهما سائر الأقاليم والبلاد ، وما دخلت بلدة إلا قمت بها سنة كاملة ، حتى يتفرجا عليها ، ويعرفا أهلها . وإنى قد أتيت بلدكم هذا واخترت المقام فيه ، وأشتهى منك دكانا يكون فى أحسن المواضع ، حتى أجلسهما فيه ليتاجرا ويتفرجا على هذه المدينة ، ويتخلقا بأخلاق أهلها ، ويتعلما البيع والشراء ، والأخذ والعطاء .

فقال شيخ السوق : لا بأس فى ذلك .

ثم نظر إلى الولدين وفرح بهما وأحبهما حبا زائدا ، ثم قام واقفا فى خدمتهما كالغلام بين أيديهما . وبعد ذلك سعى وهيأ لهما الدكان ، وكان وسط السوق ، ولم يكن به أكبر منه ، ولا أوجه منه عندهم ، لأنه كان متسعا مزخرفا فيه رفوف من عاج وأبنوس . ثم سلم المفاتيح للوزير وهو فى صفة تاجر ، وقال : جعله الله مباركا على ولديك .

فلما أخذ الوزير مفاتيح الدكان ، توجه إليه هو والغلمان ، ووضعوا فيه أمتعتهم ، وأمروا غلمانهم أن ينقلوا إليه جميع ما عندهم من البضائع والقماش .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٣٢

(**فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الوزير أمر غلمانه أن ينقلوا البضائع والقماش ، وكان ذلك يساوى خزائن مال . فنقلوا جميع ذلك إلى الدكان ، وباتوا تلك الليلة . فلما أصبح الصباح ، أخذهما الوزير ودخل بهما الحمام . فلما دخلوا الحمام تنظفوا وأخذوا غاية حظهم ، وكان كل من الغلامين ذا جمال باهر . فصار فى الحمام على حد قول الشاعر :

بشرى لقيِّمـــــه إذ لامست يده
جسمـــا تولَّـــد بين الماء والنـــــور
ما زال يظهر لطفـــا من صناعتـــه
حتى جنى المسك من تمثال كافور

ثم خرجا من الحمام ، وكان شيخ السوق فى انتظارهما ، وإذا بهما قد

أقبلا وهما كالغزالين ، أو كأنهما غصنان مثمران ، أو قمران زاهيان ؛ فقال لهما : يا ولديَّ حمامكما نعيم دائم .

فقال تاج الملوك بأعذب كلام : ليتك كنت معنا .

ثم إن الاثنين قبلا يديه ، ومشيا قدامه ، حتى وصلا إلى الدكان ، تعظيما له لأنه كبير السوق ، وقد أحسن إليهما بإعطائهما الدكان . ثم أقسما عليه أن يدخل معهما الحمام ثانيا ، وكانا قد تركا الوزير داخل الحمام . فلما دخل شيخ السوق إلى الحمام ثاني مرة ، سمع الوزير بدخوله ، فخرج إليه من الخلوة ، واجتمع به في وسط الحمام ، وعزم عليه فامتنع ، فأمسك بإحدى يديه تاج الملوك ، وبيده الأخرى عزيز ، وحلف تاج الملوك أن لا يحميه غيره ، وحلف عزيز أن لا يصب الماء غيره ، فقال له الوزير : إنهما ولداك .

فقال شيخ السوق : أبقاهما الله لك ! لقد حلت في مدينتنا البركة والسعود ، بقدومكم وقدوم أتباعكم .

ثم أنشد هذين البيتين :

أقبلتَ فاخضرَّتْ لدينا الرُّبا
وقد زهت بالزَّهْرِ للمُجْتَلِي
ونادتِ الأرضُ ومَنْ فَوْقَها
أهلا وسهلا بك من مُقْبِل

فشكروه على ذلك . وما زال تاج الملوك يحميه ، وعزيز يصب عليه الماء ، وهو يظن أنه في الجنة ، حتى أتما خدمته ، فدعا لهما ، وجلس بجانب الوزير . ثم بعد ذلك جاء لهم الغلمان بالمناشف ، فتنشفوا ولبسوا ملابسهم ، ثم خرجوا من الحمام ، فأقبل الوزير على شيخ السوق وقال له : يا سيدي ، إن الحمام نعيم الدنيا .

فقال شيخ السوق : جعله الله لوالديك عافية ، وكفاكما الله العين ، فهل تحفظون شيئاً مما قاله البلغاء فى الحمام ؟

إنَّ عيش الحمّام أطيب عيش
غير أن المقام فيه قليل

جنة تكره الإقامة فيها
وجحيم يطيب فيه الدخول

فلما فرغ تاج الملوك من شعره ، قال عزيز : وأنا أحفظ فى الحمام شيئاً .

فقال شيخ السوق : أسمعنى إياه .

فأنشد هذين البيتين :

وبيت له من جامد الصخر أزهارُ
أنيق إذا ما أضْرِمت حوله النارُ

نراه جحيما وهو فى الحق جَنَّة
وأكثر ما فيها شموس وأقمار

فلما فرغ عزيز من شعره ، تعجب شيخ السوق من شعرهما وفصاحتهما ، وقال لهما : والله لقد حزتما الفصاحة والملاحة ، فاسمعا أنتما منى .

ثم أطرب بالنغمات ، وأنشد هذه الأبيات :

يا حسن نار والنعيم عذابها
تحيا بها الأرواح والأبدان

فاعجب لبيت لا يزال نعيمه
غضًّا وتُوقَد تحته النيران

عيش السرور لمن ألَمَّ به وقد
سفحتْ عليه دموعها الجدرَانُ

ثم سرّح فى رياحين الحسن نظر العين ، وأنشد هذين البتين :

وافيت منزلـه فلـم أر حاجبـا
إلا ويلقـانى بوجـه ضاحكِ

ودخـلت جنتـه وزرت جحيمـه
فشكـرت رضوانـا ورأفـة مالك

فلما سمعوا ذلك تعجبوا من هذه الأبيات . ثم إن شيخ السوق عزم عليهم فامتنعوا ، ومضوا إلى منزلهم ليستريحوا من تعب الحمام . ثم أكلوا وشربوا ، وباتوا تلك الليلة فى منزلهم فى أتم ما يكون من الحظ والسرور . فلما أصبح الصباح قاموا من نومهم ، وتوضئوا وصلوا فرضهم واصطبحوا . ولما طلع النهار ، وفتحت الدكاكين والأسواق ، خرجوا من المنزل ، وتوجهوا إلى السوق ، وفتحوا الدكان ، وكان الغلمان قد هيئوه أحسن هيئة ، وفرشوه بالبسط الحرير ، ووضعوا فيه مرتبتين ، كل واحدة منهما تساوى مائة دينار ، وجعلوا فوق كل مرتبة نِطْعا[1] ملوكيا ، له دائرة من الذهب ، فجلس تاج الملوك على مرتبة ، وجلس عزيز على الأخرى ، وجلس الوزير فى وسط الدكان ، ووقف الغلمان بين أيديهم . وتسامع بهم الناس فازدحموا عليهم ، وباعوا بعض أقمشتهم وشاع ذكر تاج الملوك فى المدينة ، واشتهر فيها حسنه وجماله . ثم أقاموا على ذلك أياما ، وفى كل يوم يهرع الناس إليهم . فأقبل الوزير على تاج الملوك ، وأوصاه بكتمان أمره ، وأوصى عزيزا به ، ومضى إلى الدار ليدبر أمرا يعود نفعه عليهم ، وصار تاج الملوك وعزيز يتحدثان ، وتاج الملوك يقول : عسى أن يجىء أحد من عند السيدة دنيا .

(١) النطع : الفراش من الجلد .

وما زال تاج الملوك على ذلك أياما وليالى ، وهو لا ينام ، وقد تمكن منه الغرام ، وزاد به النحول والأسقام ، حتى حرم لذيذ المنام ، وامتنع عن الشراب والطعام ، ومع ذلك فإنه كان كالبدر فى ليلة التمام . فبينما تاج الملوك جالسا ، إذ بعجوز أقبلت عليه .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٣٣

(**فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن العجوز أقبلت عليه ، وتقدمت إليه وخلفها جاريتان ، وما زالت ماشية حتى وقفت على دكان تاج الملوك ، فرأت قده واعتداله ، وحسنه وجماله ، فتعجبت من ملاحته ، ثم قالت : سبحان من خلقك من ماء مهين ، سبحان من جعلك فتنة للعالمين .

ولم تزل تتأمل فيه وتقول : ما هذا بشرا ، إن هذا إلا ملك كريم .

ثم دنت منه ، وسلمت عليه ؛ فرد عليها السلام ، وقام لها واقفا على الأقدام ، وتبسم فى وجهها — وهذا كله بإشارة عزيز — ثم أجلسها إلى جانبه ، وصار يروِّح[1] عليها إلى أن استراحت . ثم إنها قالت لتاج الملوك : يا ولدي ، يا كامل الأوصاف والمعانى ، هل أنت من هذه الديار ؟

فقال تاج الملوك بكلام فصيح ، عذب مليح : والله يا سيدتى عمرى ما دخلت هذه الديار إلا هذه المرة ، ولا أقمت فيها إلا على سبيل الفرجة .

---

(١) يروِّح عليها : أى يحرك فى يده بالمروحة لتجلب لها الريح .



فقالت : لك الإكرام من قادم ، على الرحب والسعة . ما الذى جئت به معك من القماش ؟ فأرنى شيئا مليحا ، فإن المليح لا يحمل إلا المليح .

فلما سمع من تاج الملوك كلامها ، خفق فؤاده ، ولم يفهم معنى كلامها ؛ فغمزه عزيز بالإشارة ، فقال لها تاج الملوك : عندى ما تشتهين ، من الذى لا يصلح إلا للملوك وبنات الملوك . فلمن تريدين حتى أعرض عليك ما يصلح لأربابه ؟

وأراد بذلك الكلام أن يفهم معنى كلامها ؛ فقالت له : أريد قماشا يصلح للسيدة دنيا بنت الملك شهرمان .

فلما سمع تاج الملوك ذكر محبوبته ، فرح فرحا شديدا ، وقال لعزيز : ائتنى بأفخر ما عندك من البضاعة .

فأتاه عزيز ببقجة ، وحلها بين يديه ، فقال لها تاج الملوك : اختارى ما يصلح لها ، فإن هذا الشيء لا يوجد عند غيرى.

فاختارت العجوز شيئا يساوى ألف دينار ، وقالت بكم هذا ؟

فقال لها : وهل أساوم مثلك فى هذا الشيء الحقير ؟ الحمد لله الذى عرفنى بك .

فقالت له العجوز : أعيذ وجهك المليح برب الفلق . إن وجهك مليح ، هنيئا لمن تضم قوامك الرجيح ، وتحظى بوجهك الصبيح وخاصة إذا كانت صاحبة حسن مثلك .

فضحك تاج الملوك حتى استلقى على قفاه ، ثم قال فى نفسه : يا قاضى الحاجات ، على أيدى العجائز الفاجرات .

فقالت : يا ولدى ما الاسم ؟

قال : اسمى تاج الملوك .

فقالت : إن هذا الاسم من أسماء الملوك ، ولكنك فى زى التجار .

فقال لها عزيز : من محبته ومعزته عليهم ، سموه بهذا الاسم .

فقالت العجوز : صدقت ، كفاكما الله شر الحساد ، ولوْ فتَّتَ بمحاسنكما الأكباد .

ثم أخذت القماش وهى باهتة من حسنه وجماله ، وقده واعتداله ؛ ولم تزل ماشية حتى دخلت على السيدة دنيا ، وقالت لها : يا سيدتى جئت لك بقماش مليح .

فقالت لها : أرينى إياه .

فقالت : يا سيدتى ها هو ذا ، فقلبيه وانظريه .

فلما رأته السيدة نيا قالت لها : يا (دادتى) إن هذا القماش مليح ، ما رأيته فى مدينتنا .

فقالت العجوز : يا سيدتى إن بائعه أحسن منه ، كأن رضوان فتح أبواب الجنان وسها ، فخرج منها التاجر الذى يبيع هذا القماش . وأنا أشتهى فى هذه الليلة أن يكون عندك ، فإنه فتنة لمن يراه ؛ وقد جاء مدينتنا بهذه الأقمشة لأجل الفرجة .

فضحكت السيدة دنيا من كلام العجوز ، وقالت : أخزاك الله يا عجوز النحس ، إنك خرفت ولم يبق لك عقل .

ثم قالت : هاتى القماش حتى أبصره جيدا .

فناولتها إياه ، فنظرته ثانية ، فرأته شيئا قليلا وثمنه كثيرا . وتعجبت من حسن ذلك القماش لأنها ما رأت فى عمرها مثله ، فقالت لها العجوز : يا سيدتى ، لو رأيت صاحبه لعرفت أنه أحسن من يكون على وجه الأرض .

فقالت لها السيدة دنيا : هل سألته إن كانت له حاجة يعلمنا بها فنقضيها له ؟

فقال العجوز ، وقد هزت رأسها : حفظ الله فراستك ، و الله إن له حاجة ، وهل يخلو أحد من حاجة ؟

فقالت لها دنيا : اذهبى إليه ، وسلمى عليه ، وقولى له : شرفت بقدومك مدينتنا ، ومهما كان لك من الحوائج قضيناها لك على الرأس والعين .

فرجعت العجوز إلى تاج الملوك فى الوقت ؛ فلما رآها طار قلبه من الفرح ، ونهض لها قائما على قدميه ، وأخذ يدها وأجلسها إلى جانبه . فلما جلست واستراحت أخبرته بما قالته السيدة دنيا ؛ فلما سمع ذلك فرح غاية الفرح ، واتسع صدره وانشرح ، وقال فى نفسه : قد قضيت حاجتى .

ثم قال للعجوز : لعلك توصلين إليها كتابا ، وتأتينى بالجواب ؟
فقالت : سمعا وطاعة ؟
فلما سمع ذلك منها قال لعزيز : ائتنى بدواة وقرطاس ، وقلم من نحاس .
فلما أتاه بتلك الأدوات ، كتب هذه الأبيات :

كتبت إليك يا سؤلى كتابا
بما ألقاه من ألم الفراقِ
فأول ما أسطر : نار قلبى
وثانيه : غرامى واشتياقى
وثالثه : مضى عمرى وصبرى
ورابعه : جميع الوجد باق
وخامسه : متى عينى تراكم
وسادسه : متى يوم التلاقى

ثم كتب فى إمضائه : إن هذا الكتاب من أسير الأشواق ، المسجون فى سجن الاشتياق ، الذى ليس له إطلاق ، إلا بالوصال ، ولو بطيف الخيال ، لأنه يقاسى أليم العذاب ، من فراق الأحباب .
ثم أفاض دمع العين ، وكتب هذين البيتين :

كتبت إليك والعبرات تجرى
ودمع العين ليس له انقطاع
ولست بيائس من فضل ربى
عسى يوم يكون به اجتماع

ثم طوى الكتاب وختمه ، ودفعه للعجوز وقال : أوصليه إلى السيدة دنيا .
فقالت له : سمعا وطاعة .

ثم أعطاها ألف دينار ، وقال : اقبلى منى هذه الهدية .

فأخذتها وانصرفت داعية له ، ولم تزل ماشية حتى دخلت على السيدة دنيا . فلما رأتها قالت لها : أى شىء طلب من الحوائج حتى نقضيها له ؟

فقالت لها : يا سيدتى ، قد أرسل معى كتابا ، ولا أعلم بما فيه .

ثم ناولتها الكتاب ، فأخذته وقرأته وفهمت معناه ، ثم قالت : من أين وإلى أين ، حتى يراسلنى هذا التاجر ويكاتبنى ؟

ثم لطمت وجهها وقالت : لولا خوفى من الله تعالى لصلبته على دكانه .

فقالت العجوز : وأى شىء فى هذا الكتاب أزعج قلبك ؟ هل فيه شكاية أو مظلمة ، أو فيه طلب ثمن القماش ؟

فقالت لها : ويلك ما فيه إلا عشق ومحبة ، وهذا كله منك ، وإلا فمن أين يتوصل هذا الشيطان إلى هذا الكلام ؟

فقالت لها العجوز : يا سيدتى ، أنت قاعدة فى قصرك العالى ، وما يصل إليك أحد ، ولا الطير الطائر . سلامتك من اللوم والعتاب ، وما عليك من نباح الكلاب . فلا تؤاخذينى حيث أتيتك بهذا الكتاب ، ولا أعلم ما فيه ، ولكن الرأى السديد أن تردى إليه جوابا ، تهددينه فيه بالقتل ، وتنهينه عن هذا الهذيان ، فإنه ينتهى ولا يعود .

فقالت السيدة : أخاف أن أكاتبه فيطمع .

فقالت العجوز ، إذا سمع التهديد والوعيد ، رجع عمّا هو فيه .

فقالت ، على بدوة وقرطاس ، وقلم من نحاس .

فلما أحضروا لها تلك الأدوات ، كتبت هذه الأبيات :

يا مدعى الحبِّ والبلوى مع السهَرِ

وما يلاقيه من وجد ومن فِكَرِ

أتطلب الوصل يا مغرور من قمر
وهل ينال المنى شخص من القصر
إنى نصحتك عما أنت طالبه
فاقصرْ فإنك فى هذا على خطر
وإن رجعت إلى هذا الكلام فقد
أتاك منى عذاب زائد الضرر
وحق من خلق الإنسان من عَلَق
ومن أنار ضياء الشمس والقمر
لئن رجعت إلى ما أنت ذاكره
لأصلبنك فى جذع من الشجر.



ثم طوت الكتاب وأعطت العجوز إياه ، قالت لها : ادفعيه إليه ، وقولى له : كفَّ عن هذا الكلام .

فقالت لها : سمعا وطاعة .

ثم أخذت الكتاب وهى فرحانة ، ومضت إلى منزلها ، وباتت فى بيتها .

فلما أصبح الصباح ، توجهت إلى دكان تاج الملوك ، فوجدته في انتظارها ؛ فلما رآها كاد يطير من الفرح . فلما قربت منه ، نهض إليها قائما ، وأقعدها بجانبه ، فأخرجت له الورقة ، وناولته إياها ، وقالت له : اقرأ ما فيها .

ثم قالت له : إن السيدة دنيا لما قرأت كتابك اغتاظت ، ولكنني لاطفتها ومازحتها حتى أضحكتها ، ورقت لك وردت الجواب .

فشكرها تاج الملوك على ذلك ، وأمر عزيزا أن يعطيها ألف دينار . ثم إنه قرأ الكتاب وفهمه ، وبكى بكاء شديدا ، فرقّ له قلب العجوز ، وعظم بكاؤه وشكواه ، ثم قالت له : يا ولدى ، وأى شيء فى هذه الورقة أبكاك ؟

فقال لها : إنها تهددنى بالقتل والصلب ، وتنهانى عن مراسلتها . وإن لم أراسلها يكون موتى خيرا من حياتى ، فخذى جواب كتابها ، ودعيها تفعل ما تريد .

فقالت له العجوز : وحياة شبابك لا بد أنى أخاطر معك بروحى ، وأبلغك مرادك ، وأوصلك إلى ما فى خاطرك .

فقال لها تاج الملوك : كل ما تفعلينه أجازيك عليه ، ويكون فى ميزانك ؛ فإنك خبيرة بالسياسة ، وعارفة بأبواب الكياسة ، وكل عسير عليك يسير ، والله على كل شيء قدير .

ثم أخذ ورقة وكتب فيها هذه الأبيات :

أمست تهددنى بالقتل واحزنى
والقتل لى راحة والموت مقدور
والموت أهنا لصبٍّ أن تطول به
حياته وهو ممنوع ومقهور
بالله زوروا مُحِبّـا قلّ ناصره
فإننى عبدكم والعبد مأسور

يا سادتى فارحمونى فى محبتكـــــم
فكلُّ مَنْ يعشق الأحـــرار معـــذور

ثم إنه تنفس الصعداء، وبكى حتى بكت العجوز، وبعد ذلك أخذت الورقة منه وقالت له: طب نفسا وقر عينا، فلا بد أن أبلغك مقصودك.

وأدرك شهر زاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

١٣٤

(**فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد المائة**) قالت: بلغنى أيها الملك السعيد، أن العجوز قامت وتركت تاج الملوك على النار، وتوجهت إلى السيدة دنيا، فرأتها متغيرة اللون، من غيظها من مكتوب تاج الملوك، فناولتها الكتاب، فازدادت غيظا، وقالت للعجوز، أما قلت لك إنه يطمع فينا؟

فقالت لها: وأى شىء هذا الكلب حتى يطمع فيك؟

فقالت لها السيدة دنيا: اذهبى إليه، وقولى: «إن راسلتها بعد ذلك ضربت عنقك».

فقالت لها العجوز: اكتبى له هذا الكلام فى مكتوب، وأنا آخذ المكتوب معى لأجل أن يزداد خوفه.

فأخذت ورقة، وكتبت فيها هذه الأبيات:

أيــا غافــلا عن حادثـــات الطـــوارقِ
ولـيس إلى نيـــل الـــوصال بسابـــقِ
أتزعـــم يا مغـــرور أن تدرك السُّهَـــا
ومـــا أنت للبـــدر المنير بلاحـــــق

فكيف تُرجِّينا وتأمُلُ وصلنا   لتحظى بضمٍّ للقدود الرواشق
فدع عنك هذا القصد خِيفةَ سطوة   بيوم عبوس فيه شَيْبُ المفارِق

ثم طوت الكتاب ودفعته للعجوز، فأخذته وانطلقت به إلى تاج الملوك، فلما رآها قام على قدميه وقال: لا أعدمنى الله بركة قدومك.

فقالت له العجوز: خذ جواب مكتوبك.

فأخذ الورقة وقرأها، وبكى بكاء شديدا وقال: إنى اشتهى من يقتلنى الآن، فإن القتل أهون علىَّ من هذا الأمر الذى أنا فيه.

ثم أخذ دواة وقلما وقرطاسا، وكتب مكتوبا، ورقم هذين البيتين:

فيا منيتى لا تتْبَعِى الهجر والجفا
فإنى محبٌّ فى المحبَّة غارقُ
ولا تحسبينى فى الحياة مع الجفا
فروحِىَ من بعد الأحبَّة طالِقُ

ثم طوى الكتاب ودفعه للعجوز وقال لها: قد أتعبتك بدون فائدة.

وأمر عزيزا أن يدفع لها ألف دينار، وقال لها: يا أمى، إن هذه الورقة لا بد أن يعقبها كمال الاتصال، أو كمال الانفصال.

فقالت له: يا ولدى، والله ما أشتهى لك إلا الخير، ومرادى أن تكون عندك، فإنك أنت القمر صاحب الأنوار الساطعة، وهى الشمس الطالعة. وإن لم أجمع بينكما فليس فى حياتى فائدة، وأنا قد قطعت عمرى فى المكر والخداع حتى بلغت التسعين، فكيف أعجز عن الجمع بين اثنين؟

ثم ودعته وطيبت قلبه وانصرفت، ولم تزل تمشى حتى دخلت على السيدة دنيا، وقد أخفت الورقة فى شعرها. فلما جلست عندها، حكت رأسها وقالت: يا سيدتى عساك أن تسرحى شعرى، فإن لى زمانا ما

دخلت الحمام .

فكشفت السيدة دنيا عن مرفقيها ، وحلت شعر العجوز ، وصارت تسرحه ؛ فسقطت الورقة من رأسها ، فرأتها السيدة دنيا ، فقالت : ما هذه الورقة ؟

فقالت : كأنى قعدت على دكان التاجر فتعلقت معى هذه الورقة ، هاتيها حتى أردها له .

ففتحتها السيدة دنيا وقرأتها ، وفهمت ما فيها ، وقالت للعجوز : هذه حيلة منك ؛ ولولا أنك ربيتنى لبطشت بك فى هذا الوقت . وقد بلانى الله بهذا التاجر ، وكل ما جرى لى منه من تحت رأسك . وما أدرى من أى أرض جاءنا هذا ، ولم يقدر أحد من الناس أن يتجاسر علىَّ غيره . وأنا أخاف أن ينكشف أمرى وبخاصة مع رجل ما هو من جنسى ولا من أقرانى .



فأقبلت العجوز عليها وقالت : لا يقدر أحد أن يتكلم بهذا الكلام ، خوفا من سطوتك وهيبة أبيك ، ولا بأس أن تردى له الجواب .

فقالت : يا دادتى إن هذا شيطان ، وكيف يتجاسر على هذا الكلام ، ولم يخف من سطوة السلطان ؛ وقد تحيرت فى أمره ، فإن أمرت بقتله فليس بصواب ، وإن تركته ازداد فى تجاسره .

فقالت لها العجوز : اكتبى له كتابا لعله ينزجر .

فطلبت ورقة ودواة وقلما ، وكتبت له هذه الأبيات :

طال العتاب وفرط الجهل أغراكا
فكم بخطّ يدى فى الشّعر أنهاكا

وأنت تزداد عند النهى فى طمع
ولست إلا بكتم السر أرضاكا

اكتم هواك ولا تجهر به أبدا
وإن نطقت فإنى لست أرعاكا

وإن رجعت إلى ما أنت تذكره
فقد أتاك غراب البين ينعاكا

وعن قليل يكون الموت مندفعا
عليك والدفن تحت الأرض مثواكا

وتترك الأهل يا مغرور فى ندم
ومن سيوف الهوى قد شطّ منجاكا

ثم طوت الورقة ودفعتها للعجوز ، فأخذتها وتوجهت إلى تاج الملوك فأعطته إياها . فلما قرأها علم أنها قاسية القلب ، وأنه لا يصل إليها . فشكا أمره إلى الوزير ، وطلب منه حسن التدبير ، فقال له الوزير : اعلم أنه ما بقى

شيء يفيد فيها غير أنك تكتب لها كتابا ، وتدعو عليها فيه .

فقال تاج الملوك : أخي يا عزيز ، اكتب لها عن لساني مثل ما تعرف .

فأخذ عزيز ورقة ، وكتب هذه الأبيات :

يا رب بالخمسة الأشياخ تنقذني
ومن بُليت به فاجعله في شجن

فأنت تعلم أني في جوى لهب
وقد جفاني حبيب ليس يرحمني

فكم أرقّ لها فيما بليت به
وكم تجور على ضعفي وتظلمني

أهيم في غمرات لا انقضاء لها
ولا أرى مُسْعِفا يا رب يسعفني

وكم أروم سلوًّا في محبتها
وكيف أسلو وصبري في الغرام فَنِي

يا مانعي في الهوى طيب الوصال فهل
أمِنْتَ من نائبات الدهر والمحن

ألست ف عيشة مسرورة وأنا
مُغَرَّبٌ فيك عن أهلي وعن وطني

ثم إن عزيزا طوى الكتاب ودفعه إلى تاج الملوك ، فلما قرأه أعجبه ، فختمه ، ثم ناول العجوز إياه فأخذته وتوجهت به إلى أن دخلت على السيدة دنيا فناولتها إياه ، فلما قرأته وفهمت مضمونه ، اغتاظت غيظا شديدا ، وقالت : كل الذى جرى لى من تحت رأس هذه العجوز النحس .

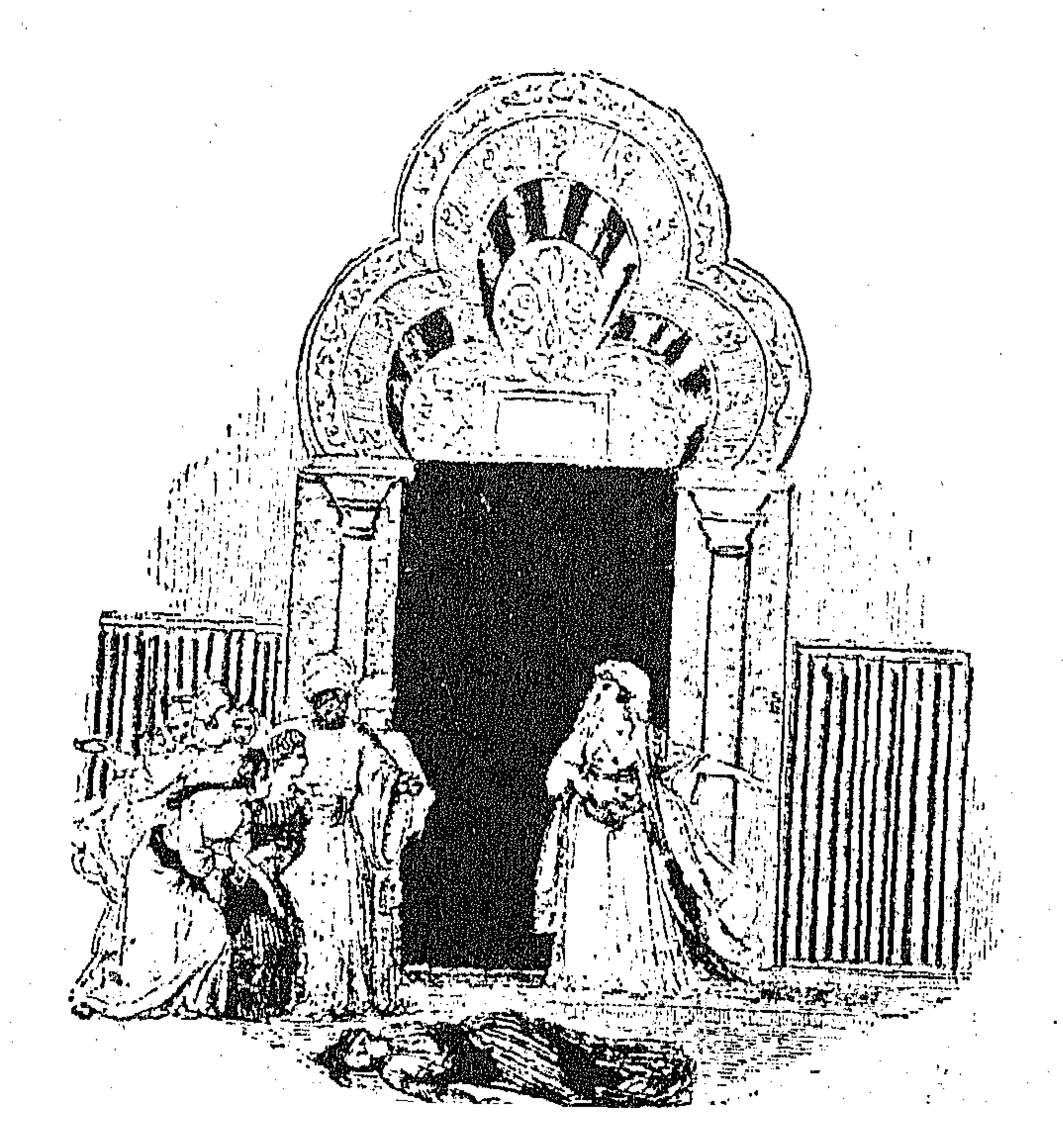
فصاحت على الجوارى والخدم ، وقالت : أمسكوا هذه العجوز

الماكرة ، واضربوها بنعالكم .

فنزلوا عليها ضربا بالنعال حتى غشى عليها ، فلما أفاقت قالت لها : والله يا عجوز السوء لولا خوفى من الله تعالى لقتلتك .

ثم قالت لهم : أعيدوا الضرب .

فضربوها حتى غشى عليها ، ثم أمرتهم أن يجروها ويرموها خارج الباب ؛ فسحبوها على وجهها ، ورموها قدام الباب . فلما أفاقت قامت تمشى وتقعد حتى وصلت إلى منزلها ، وصبرت إلى الصباح . ثم قامت



ومشت حتى أتت إلى تاج الملوك ، وأخبرته بجميع ما جرى لها ، فصعب عليه ذلك ، وقال لها : يعز علي يا أمي ما جرى لك ، ولكن كل شيء بقضاء وقدر .

فقالت له : طب نفسا وقر عينا ، فإني لا أزال أسعى حتى أجمع بينك وبينها ، وأوصلك إلى هذه القاسية التي أحرقتني بالضرب .

فقال لها تاج الملوك : أخبريني ما سبب بغضها للرجال ؟

فقالت : لأنها رأت مناما أوجب ذلك .

فقال لها : وما هو ذلك المنام ؟

فقالت : إنها كانت نائمة ذات ليلة ، فرأت صيادا نصب شركا في الأرض ، وبذر حوله قمحا ، ثم جلس قريبا منه ، فلم يبق شيء من الطيور إلا وقد أتى إلى ذلك الشرك . ورأت بين الطيور حمامتين ذكرا وأنثى ؛ فبينما هي تنظر إلى الشرك إذ برِجْل الذكر تعلقت في الشرك ، وصار يتخبط ، فنفرت منه جميع الطيور وفرت : فرجعت إليه أنثاه وحامت عليه . ثم تقدمت إلى الشرك ، والصياد غافل ، فصارت تنقر العين التي فيها رِجْل الذكر ، وصارت تجذبه بمنقارها ، حتى خلصت رجله من الشرك ، وطار هو وهي . فجاء بعد ذلك الصياد ، وأصلح الشرك وقعد بعيدا عنه ، فلم يمض غير ساعة حتى نزلت الطيور ، ووقعت الأنثى في الشرك ، فنفرت عنها جميع الطيور ، ومن جملتها الطير الذكر ، ولم يعد لأنثاه ؛ فجاء الصياد وأخذ الأنثى وذبحها .

فانتبهت مرعوبة من نومها ، وقالت : كل ذكر مثل هذا ما فيه خير ، والرجال جميعهم ما عندهم خير للنساء .

فلما فرغت من حديثها لتاج الملوك ، قال لها : يا أمي أريد أن أنظر إليها نظرة واحدة ، ولو كان في ذلك مماتي ، فاحتالي بحيلة حتى أنظر إليها .

فقالت : اعلم أن لها بستانا تحت قصرها ، وهو برسم فرجتها ، وأنها تخرج إليه فى كل شهر مرة من باب السر ، وتقعد فيه عشرة أيام . وقد جاء أوان خروجها إلى الفرجة ، فإذا أردت الخروج أجىء إليك وأعلمك حتى تخرج وتصادفها ؛ واحرص على أنك لا تفارق البستان ، فلعلها إذا رأت حسنك وجمالك يتعلق قلبها بمحبتك ، فإن المحبة أعظم أسباب الاجتماع .

فقال : سمعا وطاعة .

ثم قام من الدكان هو وعزيز ، وأخذا معهما العجوز ، ومضيا إلى منزلهما ، وعرفاها به . ثم إن تاج الملوك قال لعزيز : يا أخى ليس لى حاجة بالدكان ، وقد قضيت حاجتى منه ، ووهبته لك بجميع ما فيه ، لأنك تغربت معى ، وفارقت بلادك .

فقبل عزيز منه ذلك . ثم جلسا يتحدثان ، وصار تاج الملوك يسأله عن غريب أحواله ، وما جرى له ، وصار هو يخبره بما حصل له . وبعد ذلك أقبلا على الوزير ، وأعلماه بما عزم عليه تاج الملوك ، وقالا له : كيف العمل ؟

فقال : قوموا بنا إلى البستان .

فلبس كل واحد منهم أفخر ما عنده ، وخرجوا وخلفهم ثلاثة مماليك ، وتوجهوا إلى البستان ؛ فرأوه كثير الأشجار ، غزير الأنهار . ورأوا الخولى جالسا على الباب ، فسلموا عليه ، فرد عليهم السلام ؛ فناوله الوزير مائة دينار وقال : أشتهى أن تأخذ هذه النفقة ، وتشترى لنا شيئا نأكله ، فإننا غرباء ، ومعى هؤلاء الأولاد ، وأردت أن أفرجهم .

فأخذ البستانى الدنانير وقال لهم : ادخلوا وتفرجوا ، وجميعه ملككم ، واجلسوا حتى أحضر لكم بما تأكلون .

ثم توجه إلى السوق ، ودخل الوزير وتاج الملوك وعزيز داخل البستان ، بعد أن ذهب البستانى إلى السوق . ثم بعد ساعة أتى ومعه خروف مشوى ، ووضعه بين أيديهم ، فأكلوا وغسلوا أيديهم ، وجلسوا يتحدثون ، فقال الوزير : أخبرنى عن هذا البستان ، هل هو لك أو أنت مستأجره ؟

فقال الشيخ : ما هو لى ، وإنما لبنت الملك السيدة دنيا .

فقال الوزير : كم لك فى كل شهر من الأجر ؟

فقال : دينار واحد لا غير .

فتأمل الوزير البستان ، فرأى هناك قصرا عاليا إلا أنه عتيق ؛ فقال الوزير : أريد أن أعمل خيرا تذكرنى به .

فقال : وما تريد أن تفعل من الخير ؟

فقال : خذ هذه الثلاثمائة الدينار .

فلما سمع الخولى بذكر الذهب قال : يا سيدى ، مهما شئت فافعل .

ثم أخذ الدنانير ، فقال له : إن شاء الله تعالى نفعل فى هذا المحل خيرا .

ثم خرجوا من عنده ، وتوجهوا إلى منزلهم ، وباتوا تلك الليلة . فلما كان الغد أحضر الوزير مبيضا ونقاشا وصانعا جيدا ، وأحضر لهم جميع ما يحتاجون إليه من الآلات ، ودخل بهم البستان ، وأمرهم ببياض القصر وزخرفته بأنواع النقش . ثم أمر بإحضار الذهب واللازورد ، وقال للنقاش : اعمل فى صدر هذا الإيوان آدميا صيادا ، كأنه نصب شركه ، وقد وقعت فيه حمامة ، واشتبكت بمنقارها فى الشرك .

فلما نقش النقاش جانبا وفرغ من نقشه ، قال الوزير : اعمل فى الجانب الآخر مثل الأول ، وصور صورة الحمامة فى الشرك ، وأن الصياد أخذها

ووضع السكين على رقبتها ؛ واعمل فى الجانب الآخر صورة جارح كبير قد قنص ذكر الحمام ، وأنشب فيه مخالبه .

ففعل ذلك ، فلما فرغ من هذه الأشياء التى ذكرها الوزير ، ودَّعُوا البستانى ، ثم توجهوا إلى منزلهم وجلسوا يتحدثون .

فقال تاج الملوك لعزيز : يا أخى أنشدنى بعض الأبيات ، لعل صدرى ينشرح ، وتزول عنى هذه الأفكار ، أو يبرد ما بقلبى من لهيب النار .

فعند ذلك أطرب عزيز بالنغمات ، وأنشد هذه الأبيات :

جميع ما قاست العشاق من كَمَدِ
حويته مفردا حتى وَهَى جَلَدِى
وإن تُرِدْ مَوْرِدًا من أدمعى اتسعت
للواردين بحار الدمع فى مدد
وإنْ تُرِدْ تنظر العشاق ما صنعت
أيدى الغرام بهم فانظر إلى جسدى

ثم أفاض العبرات ، وأنشد هذه الأبيات :

من كان لا يعشق الأجياد والحدقا
ثم ادَّعى لذة الدنيا فما صدقا
فإن فى العشق معنى ليس يدركه
من البريَّة إلا كُلُّ من عشقا
لا خفَّف الله عن قلبى صبابته
بمن هَوِيتُ ولا عن جَفْنِىَ الأرقا

ثم أطرب بالنغمات ، وأنشد هذه الأبيات :

زعم ابن سينا فى أصول كلامه
أن المحبَّ دواؤه الألحانُ
ووصال مثل حبيبه من جنسه
والنقل والمشروب والبستان
فصحبت غيرك للتداوى مرة
وأعاننى المقدور والإمكان
فعلمت أن الحب داء قاتل
فيه ابن سينا طِبُّه هَذيان

فلما فرغ من شعره ، تعجب تاج الملوك من فصاحته وحسن روايته ، وقال له : قد أزلت عنى بعض ما بى .

ثم قال له : إن كانْ يحضرك شيء من جنس هذا ، فأسمعنى ما حضرك من هذا الشعر الرقيق ، وطوِّل الحديث .

فأطرب بالنغمات ، وأنشد هذه الأبيات :

قد كنت أحسب أن وصلك يشترى
بكرائم الأموال والأشباح
وظننت جهلا أن حبك هيِّنٌ
تفنى عليه نفائس الأرواح
حتى رأيتك تجتَبى وتخصّ مَنْ
أحْبَبْتَه بلطائف الأمناح
فعلمت أنك لا تُنَال بحيلة
ولويتُ رأسى تحت طيِّ جناحى

وجعلت في عش الغرام إقامتي
فيه غُدُوِّى دائما ورَواحي

هذا ما كان من أمر هؤلاء .

وأما ما كان من أمر العجوز ، فإنها انقطعت في بيتها ، واشتاقت بنت الملك إلى الفرجة في البستان ، وهي لا تخرج إلا بالعجوز ؛ فأرسلت إليها ، وصالحتها وطيبت خاطرها ، وقالت لها : إني أريد أن أخرج إلى البستان لأتفرج على أشجاره وأثماره ، وينشرح صدرى بأزهاره .

فقالت لها العجوز : سمعا وطاعة ، ولكن أريد أن أذهب إلى بيتي ، وألبس أثوابي ، وأحضر عندك .

فقالت : اذهبي إلى بيتك ولا تتأخرى عني .

فخرجت العجوز من عندها ، وتوجهت إلى تاج الملوك ، وقالت له : تجهز والبس أفخر ثيابك ، واذهب إلى البستان ، وادخل على البستاني ، وسلم عليه ، ثم اختف في البستان .

فقال : سمعا وطاعة .

وجعلت بينها وبينه إشارة ، ثم توجهت إلى السيدة دنيا . وبعد ذهابها قام الوزير وعزيز ، وألبسا تاج الملوك بذلة من أفخر ملابس الملوك ، تساوى خمسة آلاف دينار . وشدا في وسطه حياصة[١] من الذهب ، مرصعة بالحرير والمعادن ؛ ثم توجه إلى البستان . فلما وصل إلى باب البستان ، وجد الخولى جالسا هناك : فلما رآه البستاني نهض له على الأقدام ، وقابله بالتعظيم والإكرام ، وفتح له الباب ، وقال له : ادخل وتفرج في البستان .

---

(١) الحياصة : الحزام .

ولم يعلم البستانى أن بنت الملك ستدخل البستان فى هذا اليوم. فلما دخل تاج الملوك، لم يلبث إلا مقدار ساعة، وسمع ضجة، فلم يشعر إلا والخدم والجوارى خرجوا من باب السر. فلما رآهم الخولى ذهب إلى تاج الملوك، وأعلمه بمجيئها، وقال له: يا مولاى، كيف يكون العمل، وقد أتت ابنة الملك السيدة دنيا؟

فقال: لا بأس عليك، فإنى أختفى فى بعض مواضع البستان.

فأوصاه البستانى بغاية الاختفاء، ثم تركه وراح. فلما دخلت بنت الملك هى وجواريها والعجوز فى البستان، قالت العجوز فى نفسها: « متى كان الخدم معنا، فإننا لا ننال مقصودنا ». ثم قالت لابنة الملك: يا سيدتى، إنى أقول لك شيئا فيه راحة لقلبك.

فقالت السيدة دنيا: قولى ما عندك.

فقالت العجوز: يا سيدتى، إن هؤلاء الخدم لا حاجة لك بهم فى هذا الوقت، ولا ينشرح صدرك ما داموا معنا، فاصرفيهم عنا.

فقالت السيدة دنيا: صدقت.

ثم صرفتهم. وبعد قليل تمشت، فصار تاج الملوك ينظر إليها، وإلى حسنها وجمالها، وهى لا تشعر بذلك؛ وكلما نظر إليها يغشى عليه مما يرى من بارع حسنها، وصارت العجوز تسارقها الحديث، إلى أو أوصلتها إلى القصر الذى أمر الوزير بنقشه. ثم دخلت ذلك القصر، وتفرجت على نقشه، وأبصرت الطيور والصياد والحمام، فقالت: سبحان الله، إن هذه صفة ما رأيته فى المنام.

وصارت تنظر إلى الطيور والصياد والشرك وتتعجب، ثم قالت: يا دادتى، إنى كنت ألوم الرجال وأبغضهم، ولكن انظرى الصياد كيف

ذبح الطائر الأنثى ، وتخلص الذكر وأراد أن يجيء إلى الأنثى ويخلصها ، فقابله الجارح وافترسه ؟

وصارت العجوز تتجاهل وتشغلها بالحديث ، إلى أن قربا من المكان المختفى فيه تاج الملوك ؛ فأشارت إليه العجوز أن يتمشى تحت شبابيك القصر . فبينما السيدة دنيا كذلك ، إذ لاحت منها التفاتة فرأته ، وتأملت جماله ، وقده واعتداله ، ثم قالت : يا دادتى ، من أين هذا الشاب المليح ؟

فقالت : لا أعلم به ، غير أنى أظنه ولد ملك عظيم ، فإنه بلغ من الحسن النهاية ، ومن الجمال الغاية .

فهامت به السيدة دنيا ، وانحلت عرا عزائمها ، وانبهر عقلها من حسنه وجماله ؛ فقالت للعجوز : يا دادتى ، إن هذا الشاب مليح .

فقالت لها العجوز : صدقت يا سيدتى .

ثم إن العجوز أشارت إلى ابن الملك أن يذهب إلى بيته ، وقد التهبت به نار الغرام ، وزاد به الوجد والهيام ، فسار وودع الخولى ، وانصرف إلى منزله ، ولم يخالف العجوز ، وأخبر الوزير وعزيزا بأن العجوز أشارت إليه بالانصراف ، فصارا يصبرانه ويقولان له : لولا أن العجوز تعلم أن فى رجوعك مصلحة ، ما أشارت عليك به .

هذا ما كان من أمر تاج الملوك والوزير وعزيز .

وأما ما كان من أمر ابنة الملك السيدة دنيا ، فإنها غلب عليها الغرام ، وزاد بها الوجد والهيام ، وقالت للعجوز : أنا ما أعرف اجتماعى بهذا الشاب إلا منك .

فقالت العجوز : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، أنت لا تريدين الرجال ، فكيف حلت بك من عشقه الأوجال ؟ ولكن والله ما يصلح لشبابك إلا هو .

فقالت السيدة دنيا : يادادتى ، أسعفينى باجتماعى به ، ولك عندى ألف دينار ، وخلعة بألف دينار . وإن لم تسعفينى بوصاله ، فإنى ميتة لا محالة .

فقالت العجوز : امضى أنت إلى قصرك ، وأنا أتسبب فى اجتماعكما ، وأبذل روحى فى مرضاتكما .

ثم إن السيدة دنيا توجهت إلى قصرها ، وتوجهت العجوز إلى تاج الملوك ؛ فلما رآها نهض لها على الأقدام ، وقابلها بإعزاز وإكرام ، وأجلسها إلى جنبه ، فقالت له : إن الحيلة قد تمت .

وحكت له ما جرى لها مع السيدة دنيا ، فقال لها : متى يكون الاجتماع ،؟

قالت : فى غد .

فأعطاها ألف دينار ، وحلة بألف دينار ، فأخذتهما وانصرفت . وما زالت سائرة حتى دخلت على السيدة دنيا ، فقالت لها : يا دادتى ، أما عندك من خبر الحبيب شىء .

فقالت : قد عرفت مكانه ، وفى غد أكون به عندك .

ففرحت السيدة دنيا بذلك ، وأعطتها ألف دينار ، وحلة بألف دينار ؛ فأخذتهما وانصرفت إلى منزلها ، وباتت فيه إلى الصباح . ثم خرجت وتوجهت إلى تاج الملوك ، وألبسته لبس النساء ، وقالت له : امش خلفى ، وتمايل فى خطواتك ، ولا تستعجل فى مشيتك ، ولا تلتفت إلى من يكلمك .

وبعد أن أوصت تاج الملوك بهذه الوصية ، خرجت وخرج خلفها ، وهو فى زى النسوان ، وصارت تعلمه فى الطريق حتى لا يفزع . ولم تزل ماشية وهو خلفها ، حتى وصلا إلى باب القصر ، فدخلت وهو وراءها ،

وصارت تخترق الأبواب والدهاليز ، إلى أن جاوزت به سبعة أبواب . ولما وصلت إلى الباب السابع قالت لتاج الملوك قوّ قلبك ، وإذا زعقت عليك وقلت لك : « يا جارية اعبرى » . فلا تتوان فى مشيتك وهرول ، فإذا دخلت الدهليز ، فانظر إلى شمالك ترَ إيوانا فيه أبواب ، فعد خمسة أبواب ، وادخل الباب السادس ، فإن مرادك فيه .

فقال تاج الملوك : وأين تروحين أنت ؟

فقالت له : ما أروح موضعا ، غير إنى ربما أتأخر عنك ، وأتحدث مع الخادم الكبير

ثم مشت وهو خلفها ، حتى وصلت إلى الباب الذى فيه الخادم الكبير ؛ فرأى معها تاج الملوك فى صورة جارية ، فقال بها : ما شأن هذه الجارية التى معك ؟

فقالت له : هذه جارية ، قد سمعت السيدة دنيا بأنها تعرف الأشغال ، وتريد أن تشتريها .

فقال لها الخادم : أنا لا أعرف جارية ولا غيرها ، ولا يدخل أحد حتى أفتشه ، كما أمرنى الملك .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(**فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الخادم لما قال للعجوز : « لا يدخل أحد حتى أفتشه » . قالت العجوز له ، وقد أظهرت الغضب : أنا أعرف أنك عاقل ومؤدب ، فإن كان حالك قد تغير ، فإنى أعلمها بذلك ، وأخبرها أنك تعرضت لجاريتها .

ثم صاحت على تاج الملوك وقالت له : اعبرى يا جارية .

فعند ذلك عبر إلى داخل الدهليز كما أمرته ، وسكت الخادم ولم يتكلم . ثم إن تاج الملوك عد خمسة أبواب ، ودخل الباب السادس ، فوجد السيدة دنيا واقفة فى انتظاره . فلما رأته عرفته ، فضمته إلى صدرها ، وضمها إلى صدره ، ثم دخلت العجوز عليهما ، واحتالت على صرف الجوارى ، ثم قالت السيدة دنيا للعجوز : كونى بوابة .

ثم اختلت هى وتاج الملوك ، ولم يزالا فى ضم وعناق إلى وقت السحر . ولما أصبح الصباح أغلقت العجوز عليهما الباب ، ودخلت مقصورة أخرى ، وجلست على جرى عادتها ، وأتت إليها الجوارى ، فقضت حوائجهن ، وصارت تحدثهن ، ثم قالت للجوارى : اخرجن الآن من عندى ، فإنى أريد أن أنشرح وحدى .

فخرجت الجوارى من عندها ، ثم إنها أتت إلى العاشقين ، ومعها شىء من الأكل ، فأكلا وأخذا فى السمر إلى وقت السحر ؛ فأغلقت عليهما مثل اليوم الأول . ولم يزالا على ذلك مدة شهر كامل .



هذا ما كان من أمر تاج الملوك والسيدة دنيا .

وأما ما كان من أمر الوزير وعزيز ، فإنهما لما توجه تاج الملوك إلى قصر بنت الملك ، ومكث تلك المدة ، علما أنه لا يخرج منه أبدا ، وأنه هالك لا محالة . فقال عزيز : يا والدى ، ماذا نصنع ؟

فقال الوزير : إن هذا الأمر مشكل ، وإن لم نرجع إلى أبيه ونعلمه ، فإنه يلومنا على ذلك .

ثم تجهزا فى الوقت والساعة ، وتوجها إلى الأرض الخضراء والعمودين وتخت الملك سليمان شاه ؛ وسارا يقطعان الأودية فى الليل

والنهار ، إلى أن دخلا على الملك سليمان شاه ، وأخبراه بما جرى لولده ، وأنه من حين دخل قصر بنت الملك لم يعلما له خبرا . فعند ذلك قامت عليه القيامة ، واشتدت به الندامة ، وأمر أن ينادى فى مملكته بالجهاد ؛ ثم أبرز العساكر إلى خارج مدينته ، ونصب لهم الخيام ، وجلس فى سرادقه حتى اجتمعت الجيوش من سائر الأقطار ، وكانت رعيته تحبه لكثرة عدله وإحسانه . ثم سار فى عسكر سدَّ الأفق ، متوجها فى طلب ولده تاج الملوك .

هذا ما كان من أمر هؤلاء .

وأما ما كان من أمر تاج الملوك والسيدة دنيا ، فإنهما أقاما على حالهما نصف سنة ، وهما كل يوم يزدادان محبة فى بعضهما بعضا . وزاد على تاج الملوك العشق والهيام ، والوجد والغرام ، حتى أفصح لها عن الضمير ، وقال لها : اعلمى يا حبيبة القلب والفؤاد ، أنى كلما أقمت عندك ازددت هياما ، ووجدا وغراما ، لأنى ما بلغت المرام بالكلية .

فقالت له : وماذا تريد يا نور عينى وثمرة فؤادى ؟ إن شئت غير الضم والعناق ، فافعل الذى يرضيك ، وليس لله فينا شريك .

فقال : ليس مرادى هكذا ، وإنما مرادى أن أخبرك بحقيقتى . فاعلمى أنى لست بتاجر ، بل أنا ملك ابن ملك ، واسم أبى الملك الأعظم سليمان شاه ، الذى أنفذ الوزير رسولا إلى أبيك ليخطبك لى ، فلما بلغك الخبر ما رضيت .

ثم إنه قص عليها قصته من الأول إلى الآخر — وليس فى الإعادة إفادة — وقال لها : وأريد الآن أن أتوجه إلى أبى ، ليرسل رسولا إلى أبيك ، ويخطبك منه ونستريح .

فلما سمعت ذلك الكلام فرحت فرحا شديدا ، لأنه وافق غرضها ؛ ثم باتا على هذا الاتفاق .

واتفق للأمر المقدور ، أن النوم غلب عليها فى تلك الليلة من دون الليالى ، واستمرا إلى أن طلعت الشمس ؛ وفى ذلك الوقت كان الملك شهرمان جالسا فى دست مملكته ، وبين يديه أمراء دولته ، إذ دخل عليه عريف الصياغ ، وبيده حقّ كبير ؛ فتقدم وفتحه بين يدى الملك ، وأخرج منه علبة لطيفة تساوى مائة ألف دينار ، لما فيها من الجواهر واليواقيت والزمرد ، مما لايقدر عليه أحد من ملوك الأقطار . فلما رآها الملك تعجب من حسنها ، والتفت إلى الخادم الكبير الذى جرى له مع العجوز ما جرى ، وقال له : يا كافور ، خذ هذه العلبة وامض بها إلى السيدة دنيا .

فأخذها الخادم ، ومضى حتى وصل إلى مقصورة بنت الملك . فوجد بابها مغلقا ، والعجوز نائمة على عتبته ، فقال الخادم : إلى هذه الساعة وأنتم نائمون ؟

فلما سمعت العجوز كلام الخادم انتبهت من منامها ، وخافت منه وقالت له : اصبر حتى آتيك بالمفتاح ، ثم خرجت على وجهها هاربة .

هذا ما كان من أمرها .

وأما ما كان من أمر الخادم فإنه عرف أنها مرتابة ، ففتح الباب ودخل المقصورة ، فوجد السيدة دنيا معانقة لتاج الملوك ، وهما نائمان . فلما رأى ذلك تحير فى أمره ، وهم أن يعود إلى الملك ، فانتبهت السيدة دنيا ، فوجدته ، فتغيرت واصفر لونها ، وقالت له : يا كافور ، استر ما ستر الله .

فقال : أنا ما أقدر أن أخفى شيئا عن الملك .

ثم أقفل الباب ورجع إلى الملك ، فقال له : هل أعطيت العلبة لسيدتك ؟

فقال الخادم : خذ العلبة ها هى ذى وأنا لا أقدر أن أخفى عنك شيئا ، اعلم أنى رأيت عند السيدة دنيا شابا جميلا نائما معها فى فراش واحد وهما متعانقان .

فأمر الملك بإحضارهما ، فلما حضرا بين يديه قال لهما : ما هذه الفعال ؟

واشتد به الغيظ ، فأخذ سيفا وهمَّ أن يضرب تاج الملوك ، فرمت السيدة دنيا بنفسها عليه ، وقالت لأبيها : اقتلنى قبله .

فنهرها الملك ، وأمرهم أن يمضوا بها إلى حجرتها ، ثم التفت إلى تاج الملوك وقال له : ويلك من أين أنت ، ومن أبوك ، وما جسَّرك على ابنتى ؟

فقال تاج الملوك : اعلم أيها الملك إنك إن قتلتنى هلكت ، وندمت أنت ومن فى مملكتك .

فقال له الملك : ولم ذلك ؟

فقال : اعلم أننى ابن الملك سليمان شاه ، وما تدرى إلا وقد أقبل عليك بخيله ورجاله .

فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام ، أراد أن يؤخر قتله ويضعه فى السجن حتى ينظر صحة قوله ، فقال له وزيره : يا ملك الزمان ، الرأى عندى أن تعجل بقتل هذا الولد ، فإنه تجاسر على بنات الملوك .

فقال للسياف : اضرب عنقه ، فإنه خائن .

فأخذه السياف وشد وثاقه ، ورفع يده وشاور الأمراء أولا وثانيا ، وقصد بذلك أن يكون فى الأمر توان ، فصاح به الملك وقال : إلى متى تشاور ؟ إن شاورت مرة أخرى ضربت عنقك .

فرفع السياف يده حتى بان شعر إبطه ، وأراد أن يضرب عنقه .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(**فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن السياف رفع يده ، وأراد أن يضرب عنقه ، وإذا بزعقات عالية ، والناس أغلقوا الدكاكين ، فقال للسياف : لا تعجل .

ثم أرسل من يكشف له عن الخبر . فمضى الرسول ، ثم عاد إليه وقال له : رأيت عسكرا كالبحر العجاج ، المتلاطم بالأمواج ، وخيلهم فى



ركض ، وقد ارتجت لهم الأرض ، وما أدرى خبرهم .

فاندهش الملك ، وخاف على ملكه أن ينزع منه ، ثم التفت إلى وزيره وقال له : أما خرج أحد من عساكرنا إلى هذا العسكر ؟

فما أتم كلامه إلا وحجابه دخلوا عليه ، ومعهم رسل الملك القادم ، ومن جملتهم الوزير ؛ فابتدأه بالسلام ، فنهض لهم قائما ، وقربهم ، وسألهم عن شأن قدومهم ، فنهض الوزير من بينهم ، وتقدم إليه وقال له : اعلم أن الذى نزل بأرضك ملك ليس كالملوك المتقدمين ، ولا مثل السلاطين السالفين .

فقال له الملك : ومن هو ؟

قال الوزير : هو صاحب العدل والأمان ، الذى سارت بعلو همته الركبان ، السلطان سليمان شاه ، صاحب الأرض الخضراء والعمودين وجبال أصفهان . وهو يحب العدل والإنصاف ، ويكره الجور والاعتساف ، ويقول لك : إن ابنه عندك ، وفى مدينتك ؛ وهو حشاشة قلبه ، وثمرة فؤاده . فإن وجده سالما فهو المقصود ، وأنت المشكور المحمود . وإن كان قد فقد من بلادك ، أو أصابه شيء ، فأبشر بالدمار ، وخراب الديار ؛ لأنه يُصيِّر بلدك قفرا تنعق فيه البوم والغربان ، وهأنذا قد أبلغتك الرسالة والسلام .

فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام من الرسول ، انزعج فؤاده ، وخاف على مملكته ، وصاح على أرباب دولته ووزرائه وحجابه ونوابه ، فلما حضروا قال لهم : ويلكم ! انزلوا وفتشوا على ذلك الغلام .

وكان تحت يد السياف ، وقد تغير من كثرة ما حصل له من الفزع . ثم إن الرسول لاحت منه التفاتة ، فوجد ابن ملكه على نِطْع الدم ، فعرفه ،

وقام ورمى بنفسه عليه ، وكذلك بقية الرسل . ثم تقدموا وحلوا وناقه ، وقبلوا يديه ورجليه ؛ ففتح تاج الملوك عينيه ، فعرف وزير والده ، وعرف صاحبه عزيزا ، فوقع مغشيا عليه من شدة فرحه بهما . ثم إن الملك شهرمان صار متحيرا فى أمره ، وخاف خوفا شديدا لما تحقق أن مجىء هذا العسكر بسبب هذا الغلام ، فقام وتمشى إلى تاج الملوك وقبل رأسه ، ودمعت عيناه ، وقال له : يا ولدى لا تؤاخذ المسىء بفعله ، فارحم شيبتى ، ولا تخرب مملكتى .

فدنا منه تاج الملوك ، وقبل يده ، وقال له : لا بأس عليك ، وأنت عندى بمنزلة والدى ، ولكن الحذر أن يصيب محبوبتى دنيا شىء .

فقال : لا تخف عليها ، فما يحصل لها إلا السرور .

وصار الملك يعتذر إليه ، ويطيب خاطر وزير الملك سليمان شاه ، ووعده بالمال على أن يخفى عن الملك ما رآه . ثم بعد ذلك أمر كبراء دولته أن يأخذوا تاج الملوك ، ويذهبوا به إلى الحمام ، ويلبسوه بذلة من خيار ملابس الملك ، ويأتوا به بسرعة . ففعلوا ذلك ، وأدخلوه الحمام ، وألبسوه البذلة التى أفردها له الملك شهرمان ، ثم أتوا به إلى المجلس . فلما دخل على الملك شهرمان ، وقف له هو وجميع أرباب دولته ، وقام الجميع فى خدمته . ثم إن تاج الملوك جلس يحدث وزير والده وعزيزا بما وقع له ؛ فقال له الوزير وعزيز : ونحن فى تلك المدة مضينا إلى والدك ، فأخبرناه بأنك دخلت سراية بنت الملك ، ولم تخرج ، والتبس علينا أمرك . فحين سمع بذلك جهز العساكر ، ثم قدمنا هذه الديار ، وكان فى قدومنا الفرح والسرور .

فقال لهما : لا زال الخير يجرى على أيديكما أولا وآخرا .

وكان الملك شهرمان فى ذلك الوقت قد دخل على ابنته السيدة دنيا ،

فوجدها تبكى على تاج الملوك ، وأخذت سيفا وركزت قبضته على الأرض ، وجعلت ذبابته على رأس قلبها بين نهديها ، وانحنت على السيف ، وصارت تقول : لا بد أن أقتل نفسى ، ولا أعيش بعد حبيبى .

فلما دخل عليها ، ورآها على هذه الحال ، صاح بها ، وقال لها : يا سيدة بنات الملوك ، لا تفعلى ، وارحمى أباك وأهل بلدك .

ثم تقدم إليها وقال لها : حاشاك أن يصيب والدك سوء بسببك .

ثم أعلمها بالقصة ، وأن محبوبها ابن الملك سليمان شاه يريد زواجها ، وقال لها : إن أمر الخطبة والزواج مفوض إلى رأيك .

فتبسمت وقالت له : أما قلت لك إنه ابن سلطان ؟ فأنا أخليه يصلبك على خشبة لا تساوى درهمين .

فقال لها : بالله عليك ارحمى أباك .

فقالت له : رح إليه وائتنى به .

فقال لها : على الرأس والعين .

ثم رجع من عندها سريعا ، ودخل على تاج الملوك ، وأسر إليه بهذا الكلام . ثم قام معه وتوجها إليها ، فلما رأت تاج الملوك عانقته قدام أبيها ، وتعلقت به ، وقالت له : أوحشتنى .

ثم التفتت إلى أبيها وقالت له : هل يفرط أحد فى مثل هذا الشاب المليح ، وهو ملك ابن ملك ؟

فعند ذلك خرج الملك شهرمان ، ورد الباب عليهما ؛ ومضى إلى وزير أبى تاج الملوك ورسله ، وأمرهم أن يعلموا السلطان سليمان شاه ، بأن ولده بخير وعافية ، وهو فى ألذ عيش .

ثم إن السلطان شهرمان أمر بإخراج الضيافات والعَلُوفات إلى عساكر

السلطان سليمان شاه ، والد تاج الملوك ، وأمر بإخراج مائة جواد ، ومائة هجين ، ومائة سُرِّيَّة ، ومائة عبد ، ومائة جارية ؛ وأرسل الجميع إليه هدية .

وبعد ذلك توجه هو وأرباب دولته وخواصه ، حتى صاروا فى ظاهر المدينة . فلما علم بذلك السلطان سليمان شاه ، تمشى خطوات إلى لقائه ، وكان الوزير وعزيز أعلماه بالخبر ، فقال : الحمد لله الذى بلغ ولدى مناه .

ثم إن الملك سليمان شاه أخذ الملك شهرمان بالحضن ، وأجلسه بجانبه على السرير ، وصارا يتحدثان معا . ثم قُدِّم الطعام ، فأكلوا حتى اكتفوا ، ثم قدمت الحلويات . ولم يمض إلا قليل حتى جاء تاج الملوك ، وقد عليه بلباسه وزينته ؛ فلما رآه والده قام له وقبله ، وقام له جميع من حضر ، وجلس بين أيديهم ساعة يتحدثون . فقال الملك سليمان شاه للملك شهرمان : إنى أريد أن أكتب كتاب ولدى على ابنتك على رءوس الأشهاد .

فقال له : سمعا وطاعة .

ثم أرسل الملك شهرمان إلى القاضى والشهود ، فحضروا وكتبوا الكتاب ، وفرح العساكر بذلك . وشرع الملك شهرمان فى تجهيز ابنته ، ثم قال تاج الملوك لوالده : إن عزيزا رجل من الكرام ، وقد خدمنى خدمة عظيمة ، وتعب وسافر معى ، وأوصلنى إلى بغيتى ، ولم يزل يصبرنى حتى قضيت حاجتى ، وأمضى معنا سنتين وهو مشتت من بلاده ؛ فالمقصود أننا نهيىء له تجارة ، لأن بلاده قريبة .

فقال له والده : نِعْمَ ما رأيت .

ثم هيئوا له مائة حمل من أغلى القماش ، وأقبل عليه تاج الملوك وودعه ، وقال له : يا أخى ، اقبل هذه على سبيل الهدية .

فقبلها منه ، وقبل الأرض قدامه وقدام والده الملك سليمان شاه .

ثم ركب تاج الملوك ، وسافر مع عزيز قدر ثلاثة أميال ، وبعدها أقسم عليه عزيز أن يرجع ، وقال : لولا والدتى ما صبرت على فراقك ، فبالله عليك لا تقطع أخبارك عنى .

ثم ودعه ومضى إلى مدينته ، فوجد والدته بنت له فى وسط الدار قبرا ، وصارت تزوره ، ولما دخل الدار وجدها قد حلت شعرها ونشرته على القبر ، وهى تفيض دمع العين ، وتنشد هذين البيتين :

بالله يا قبر هل زالت محاسنــــــه
وهــل تغير ذاك المنظــر الـــنَّضِرُ
يا قبر ما أنت بستــــــان ولا فلك
فكيـف يجمع فيك الزهـر والقمـــر

ثم صعدت الزفرات ، وأنشدت هذه الأبيات :

مالى مررت على القبـــور مسلمـــا
قبر الحبـيـب فلــــم يردَّ جوابى ؟
قال الحبيب : وكيـف رَدُّ جَوابِكُـــم
وأنـــا رهين جنـــادل وتـــراب ؟
أكل التـــراب محاسنـــى فنسيتكـــم
وحجبت عن أهلى وعــن أحبـــابى

فما أتمت شعرها إلا وعزيز داخل عليها . فلما رأته قامت إليه واحتضنته ، وسألته عن سبب غيابه ؛ فحدثها بما وقع له من أوله إلى آخره ، وأن تاج الملوك أعطاه من المال والأقمشة مائة حمل ؛ ففرحت بذلك ، وأقام عزيز عند والدته متحيرا فيما وقع له من الدليلة المحتالة التى خصته .

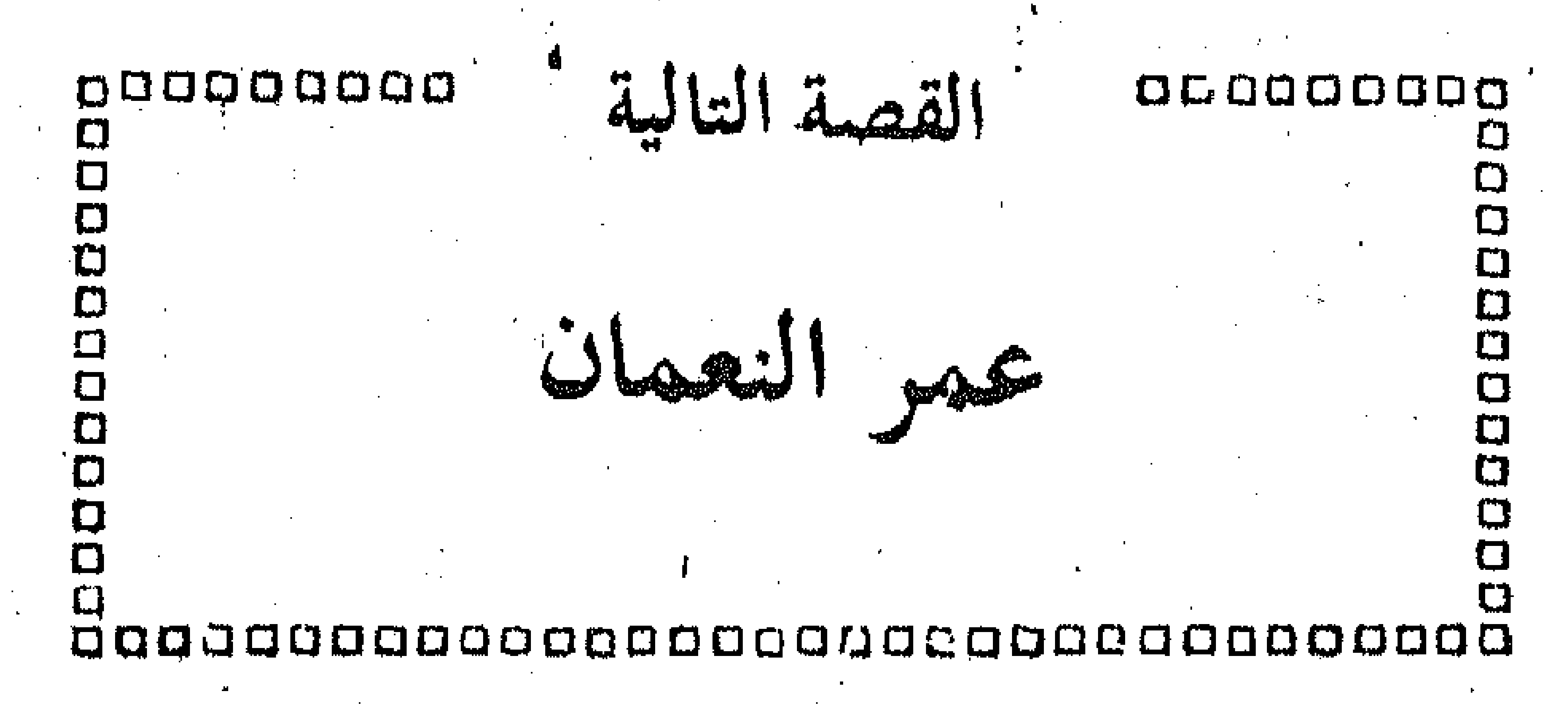
هذا ما كان من أمر عزيز .

وأما ما كان من أمر تاج الملوك ، فإنه دخل بمحبوبته السيدة دنيا . ثم إن الملك شهرمان شرع فى تجهيز ابنته للسفر مع زوجها وأبيه ، فأحضر لهم الزاد والهدايا والتحف ثم حملوا وساروا ، وسار معهم الملك شهرمان ثلاثة أيام لأجل الوداع ، فأقسم عليه الملك سليمان شاه بالرجوع فرجع . وما زال تاج الملوك ووالده وزوجته سائرين فى الليل والنهار ، حتى أشرفوا على بلادهم ، وزينت لهم المدينة .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٣٧

(**فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون بعد المائة**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الملك سليمان شاه لما وصل إلى بلده ، جلس على سرير مملكته ، وابنه تاج الملوك فى جانبه ؛ ثم أعطى وأطلق من كان فى الحبوس . ثم أقام لولده عرسا ثانيا ، واستمرت به المغانى والملاهى شهرا كاملا ، وازدحمت المواشط على السيدة دنيا ، وهى لا تمل من الجلاء ، وهن لا يمللن من النظر إليها . ثم دخل تاج الملوك على زوجته ، بعد أن اجتمع بأبيه وأمه ، وما زالوا فى ألذ عيش وأهناه .



القصة التالية

عمر النعمان

القصص الديني

الحلقة الأولى ـــ قصص الأنبياء :

للأستاذ عبد الحميد جوده السحار

لقد كتبت هذه القصص بأسلوب مشرق جميل ، وفي متابعة للنص القرآني البليغ ، كما روعي فيها التنسيق الفني الذي يربي في الأطفال والناشئة حاسة الذوق الفني القصصي . كما يربي فيهم الشعور الديني الذي يجب أن يقوى معهم منذ اللحظة التي يترعون فيها ، ليشبوا وفيهم ذلك الوازع الديني الكبير .

وقد حرص المؤلف على ضبط القصص بالشكل التام وبالحرف الكبير حتى تستقيم الألسنة متى تعودت نصوصا أدبية مضبوطة .

الحلقة الأولى : ثماني عشرة قصة .

(بالاشتراك مع الأستاذ سيد قطب)

(١) آدم وحواء .
(٢) قابيل وهابيل .
(٣) سفينة نوح .
(٤) ارم ذات العماد .
(٥) ناقة صالح .
(٦) ابراهيم يبحث عن الله .
(٧) فداء اسماعيل .
(٨) يوسف الصديق .
(٩) تحقيق الرؤيا .
(١٠) مدين وشعيب .
(١١) موسى والعصا .
(١٢) موسى والألواح .
(١٣) موسى والرجل الصالح .
(١٤) داود .
(١٥) سليمان وبلقيس .
(١٦) عيسى ابن مريم .
(١٧) أهل الكهف .
(١٨) قدرة الله .

الحلقة الثانية ـ قصص السيرة :

وهذه الحلقة الثانية من القصص الديني .. انها تجلو لنا سيرة النبي عليه السلام في أروع معارضها ، واجمل مشاهدها . فتعود بنا الى أبوة النبي ومولده وارضاع حليمة السعدية له ، وهي لا تعلم انها كانت ترضع خاتم الأنبياء .. وفيها يتم النبي وكيف ان هذا اليتيم استظلت الانسانية كلها بظله وآوت منه الى ركن شديد .. وفيها فوق ذلك من جهاد النبي ، وصبره على البلاء ، وهجرته وأيام شدته وغزواته وفتحه المبين ، ما تخشع له النفوس المؤملة ، وتطمئن له القلوب المصدقة .

ان مشاهد السيرة النبوية الكريمة ، وروائع مواقفها مجلوة هنا في أربع وعشرين قصة ، تبتدىء بهاشم بن عبد مناف ، وتختتم بالتحاق النبي بالرفيق الأعلى ، بعد ان بلغ الرسالة ، وارسى الاسلام على أساس وطيد .

(١) هاشم بن عبد مناف .
(٢) عبد المطلب جد النبي .
(٣) عبد الله وآمنة .
(٤) مولد الرسول .
(٥) حليمة السعدية .
(٦) اليتيم .
(٧) خديجة بنت خويلد .
(٨) الوحي .
(٩) المسلمون الأوائل .
(١٠) الاضطهاد .
(١١) الهجرة الى الحبشة .
(١٢) أيام الشدة .
(١٣) الهجرة .
(١٤) غزوة بدر .
(١٥) غزوة أحد .
(١٦) الخندق .
(١٧) صلح الحديبية .
(١٨) الدعوة الى الاسلام .
(١٩) فتح مكة .
(٢٠) غزوة حنين .
(٢١) غزوة تبوك .
(٢٢) حجة الوداع .
(٢٣) النبي الصالح .
(٢٤) وفاة الرسول .

الحلقة الثالثة ـ قصص الخلفاء الراشدين :

ونمضى فى هذه المجموعة أو تمضى بنا الأحداث بعد وفاة الرسول عليه السلام الى قصص الخلفاء الراشدين . ان قافلة الزمان ماضية فى طريقها ، وهؤلاء هم صحابة النبى بعد وفاته . وقد صار المسلمون بلا حاكم يحكمهم ، ان الشمس بقيت بعد موت النبى هى الشمس ، والحياة هى الحياة ، والناس هم الناس كما كانوا وسيكونون فى كل زمان ومكان ... لقد كان هنالك المهاجرون ، وهناك الأنصار ، فمن أى الطائفتين يكون خليفة رسول الله ؟ لقد بايع عمر بن الخطاب وأبو عبيدة أبا بكر الصديق اذ كان ثانى اثنين اذ هما فى الغار ، كما كان خليفة الرسول عليه الصلاة والسلام فى الصلاة ..

وهكذا تبدأ قصص الخلفاء بقصة الخليفة الأول ، وتمضى بقية قصص الخلفاء الأربعة ، بما فيهـا من احـداث وفتن بين المسلمين ، انتهت بمقتل الامام على ، الشهيد أبى الشهيد ..

(١) أبو بكر خليفة الرسول
(٢) ابو بكر يقاتل مانعى الزكاة
(٣) أبو بكر وخالد بن الوليد
(٤) وفاة أبى بكر الصديق
(٥) عمر أمير المؤمنين
(٦) فتح دمشق
(٧) عمر وسعد بن أبى وقاص
(٨) عمر فى بيت المقدس
(٩) فتح مصر
(١٠) عمر والرعية
(١١) وفاة عمر
(١٢) عثمان بن عفان
(١٣) فتح افريقية
(١٤) عثمان وثورة الأمصار
(١٥) مقتل عثمان
(١٦) الامام على بن أبى طالب
(١٧) وقعة الجمل
(١٨) وقعة صفين
(١٩) التحكيم
(٢٠) مقتل الامام .

الحلقة الرابعة ـ العرب فى أوربا :

وهنا نمضى مع الزمن ومع أحداث التاريخ الاسلامى ، حيث تحركت همم المسلمين الى ما وراء البحار ، وحيث ضاقت بهم مسارب الصحراء فى الجزيرة العربية وفى شمالى افريقية ، . فتطلعوا الى عوالم جديدة وأرض جديدة يرغعسون عليها راية الاسلام ، ولقد عبروا العدوة من الشاطىء الافريقى الى الشاطىء الأوربى ، وهم ينصبون كأنهم أمواج البحر المتلاطم ، وطارق بن زياد يصيح فيهم صيحته المشهورة « أين المفر ، البحر وراءكم ، والعدو أمامكم » .

ولم يلبث هذا العدو أن انهزم امام الايمان القوى ، والقوة الروحية الدافقة ، والكتلة العربية المسلمة المتراصـــة ، وكان للمسلمين هناك منك ظل بضعة قرون .

(١) الرحى والطلسم
(٢) رؤيا الرسول
(٣) ملك الأندلس
(٤) طارق بن زياد
(٥) موسى بن نصير
(٦) نهاية موسى بن نصير
(٧) العرب فى فرنسا
(٨) شارل مارتل
(٩) صقر قريش
(١٠) عودة العرب الى غزو فرنسا
(١١) الحكم بن هشام
(١٢) العرب فى كريت
(١٣) العرب فى صقلية
(١٤) عبد الرحمن وطروب
(١٥) العرب فى ايطاليا
(١٦) عبد الرحمن الناصر
(١٧) الحكم بن الناصر
(١٨) الأميرة صبح
(١٩) المنصور بن أبى عامر
(٢٠) ولادة ابن زيدون
(٢١) الجاهلية الثانية
(٢٢) شـــقاق
(٢٣) انتصار الأسبان
(٢٤) آخر أيام العرب فى الاندلس

ألف ليلة وليلة

مراجعة الأستاذين

سعيد جوده السحار ، عبد الستار فراج

دار مصر للطباعة